كتاب

الدين والدولة

في اثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

(تأليف)

علي بن ربّن الطبري

وساعده فيه جعفر الامام المتوكل على الله امير المؤمنين

(٢٣٢ — ٢٤٧ هـ)

اعتنى بطبعه وتصحيحه وترجمته الى اللغة الانكليزية من نسخة

وحيدة في خزانة رايلندز بمانشستر

ا . منغانة

طبع بمصر في مطبعة المقتطف سنة ١٩٢٣ مسيحيه

المطابقة لسنة ١٣٤٢ هجرية

حاشية المصحح

ا . منغانة

قد جاء ذكر او ترجمة المؤلف علي بن ربّن (وليس زين) الطبري . ١ً : في تاريخ محمد بن جرير الطبري المشهور في الجزء الثالث صحيفة ١٢٧٦ — ١٢٧٧ و ١٢٨٣ و ١٢٩٣ من طبعة لايدن . ٢ً : في مروج الذهب للمسعودي مجلد ٨ صحيفة ٣٢٦ من طبعة باريس . ٣ً : في كتاب الفهرست لابن النديم صحيفة ٢٩٦ و ٣١٦ من طبعة لايبسيك . ٤ً : في تاريخ الحكماء لابن القفطي صحيفة ١٢٨ و ١٥٥ من طبعة مصر في سنة ١٣٢٦ هجرية . ٥ً : في طبقات الحكماء لابن أبي أصيبعة صحيفة ٣٠٩ من طبعة مصر . ٦ً : في معجم البلدان لياقوت الحموي مجلد ٢ صحيفة ٦٠٨ ومجلد ٣ صحيفة ٥٠٧ من طبعة غوتينكين وأيضاً في ارشاد الاريب له مجلد ٦ صحيفة ٤٢٩ من طبعة مصر . ٧ً : في وفيات الاعيان لابن خلّكان عدد ٧١٧ صحيفة ٧٥ من طبعة غوتينكين . ٨ً : في تاريخ طبرستان بالفارسية لابن اسفنديار

صحيفة ٥٣ و ٤٣ و ٨٠ من ترجمة المعلم براون الانكليزية . ٩ً : في نسخة فردوس الحكمة من تأليف الطبري بعينه المحفوظة في الخزانة البريطانية صحيفة ٢١٨ من فهرست رياو . ١٠ً : في قرابادين بدر الدين القلانسي وفي حاشية نفيس الكرماني على كتاب الاسباب والعلامات لنجيب الدين السمرقندي صحيفة ٤٠٢ من نسخة ٢٢١ محفوظة في خزانة رايلندز

ا . منغانة



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال علي بن ربّن الطبري مولى أمير المؤمنين الحمد لله على دين الاسلام الذي من الفهُ فاز ومن قام بهِ اهتدى ومن نصره نجا ومن ناصبهُ هلك . بهِ عرف الباريء وعليهِ تحوم الامم واليه تشوقت النفوس وبهِ نيل الامل عاجلاً وآجلاً . لانه النور المعمور والجسر المعبور الى دار السلامة والخلود الذي لا كدر فيه ولا غرور . فجعلنا الله تعالى من أهل السنة وجنّبنا الباطل وما يجني على أهلهِ . وان الله حميد محمود لا نهاية لملكه ولا مبدل لكلماته . انهُ المنان الحكيم الذي أظهر الحق وأناره وفطر العباد وأرسل رسوله وحبيبهُ وخليله الى الشاكين فيهِ يدعوهم الى الفوز الدائم والنور الساطع . حتى اذا دنت واقتربت الساعة بعث الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً . فصدع بأمر ربه وأهاب أعداءه بترغيب وترهيب وتعليم وتقويم . يحث على الملكوت ونعيمها وينزجر عن النار والتهاون فيها ويؤدي عن الله ما نزل بهِ جبريل الملك اليهِ من التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه . ولا

يغادر حقاً جاءت بهِ الانبياء قبله بل يؤكده ويؤيده ويأمر بالايمان بهم أجمعين والصلاة على الاولين منهم والآخرين

قال الله في محكم كتابهِ قل (١) آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. وقال آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكتهِ وكتبه ورسلهِ لا نفرق بين أحد من رسله .الآية .وقال فيمن أشرك بالله جل وعز أو اتخذ له ولداً أو ندّا . قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وقال . قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد الا الله ولا نشرك بهِ شيئاً ولا يَتَّخِذَ بَعضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ ٱللهِ . فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ وقال . [أَفَمَن أَسَّسَ] بُنْيَانَهُ عَلَى تقوى مِنَ اللهِ ورضوانٍ خيرٌ أَمَّنْ أَسَّسَ بنيانه على شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللهُ لَا يَهْدِي [القَوْمَ] الظَّالِمِينَ . فالى هذا كان دعاؤهُ وعليه أسَّس بنيان دعوتهِ وبهِ افتتح شرائع دينهِ وشرائط حقهِ الذي كفرت [به] مشركوا العرب وحملة الكتابِ فانهم كتموا اسمه وحرفوا رسمه الموجود في كتب أنبيائهم عليهم السلام مما أنا مظهرهُ ومبيحٌ سرّهُ وكاشفٌ سترهُ حتى يراه

(١) المشهور قولوا

القارئ عياناً ويزداد بالاسلام قوة وسروراً . وأسلك في ذلك سبيلاً أسَدَّ وأجدى مما سلكَ غيري من مؤلفي الكتب في هـذا الفن . فان منهم من قصَّرَ وبتر وأدغَمَ حُجَّتهُ ولم يفسّر . ومنهم من احتجَّ على أهل الكتاب بالشعر وبما لم يعرفوه من كتبهم ومنهم من حشّى دفّتي كتابهِ بمخاطبة المسلمين دون المشركين ثم ترجم حججه بأوعر كلام وأبعده من الافهام . [فان] أراد المخالف أن يقول انه في ذلك كحاطب ليلٍ أو حميلِ سيل يتعلق بكل شوكٍ وشجرٍ وغثٍ وسمين من الكلام وان الذي احتجَّ بهِ ليس ببيان بل كتمان وليس بتبصير بل تعوير ولا بتسهيل بل توْعير كان ذلك له . ومن ألفَ كتاباً في مثـل هذا الفنّ الجليل الهادي المستنير العامّ المنفعة لاهل الاديان كلهم كان جديراً ان يجعله مفهوماً سهلاً وأن يخاصمَ [ ] [1]ويساجل خصمهُ ولا يعلو عليه ولا يربي . بل يفُهم ولا يُبهم ويُنصف ولا يظلم . ويستعمل الرفق ويُحسن سياقهُ [ ] [1] بتنويره ويأتي بالبراهين والمعارضاتِ التي ان ردها [ ] [1]خرج عن نحلتهِ ودينهِ .فانهُ ان فعلَ ذلك به ركبهُ ورماه بسهمهِ واقتادهُ بزمامه . وقد تحرَّيتُ ذلك بعون الله تعالى وقرَّبتُ المعاني ليفهمها القارئ ولا يمتري . ولم أدَعْ لاهـل الدمة حجةً ولا مسـئلة صعبةً ولا علاقة الا حكيتُ ثم حللتُ بتوفيق الله وعونه وبركة خليفته جعفر الامام المتوكل على الله أمير المؤمنين أطال

(١) يوجد هنا كلمة او كلمتان لم نقدر ان نقراها لان النسخة مخرقة

الله بقاءه وبما اهتديتُ به واستفدتُ عنهُ وسمعتُ من ألفاظهِ ولما هو مغرمٌ كَلِفٌ به من بثّ مثل هذا الكتاب وتخليده اعزازاً لأسباب الدين وإفلاجاً لحججهِ وترغيباً لمن جهل فضلَه فيه وما ابتلى اللهُ الاسلام وأهلَه في زمانه وتجدد لهم من كراماته وتعرّفهم من النماء والزيادة والاستعلاء برفقِ تدبيره . واني وجدتُ جميعَ من خالَفَ الاسلام انما خالفوه لأربع عِللٍ أولاً [1] من الشكِّ في خبر النبي صلى الله عليهِ وسلم والثانية الأَنَفَةُ والعـزّة والثالثة التقليد والإلفُ. والرابعة البلادةُ والغباوةُ . فلعمري لو ميّزوا الخبر وعقلوهُ لقبلوه ولم يدفعوه . ولما طلبوا ما عند الله بمخالفة أمر الله فالواجب علينا أن نقصد لتثبيت الخبر عندهم ونفي الشك عنهم ونبين لهم أصول الاخبار وفروعها وعللها ومجاريها والوجوه التي بها يعرف حقها من باطلها والاسباب التي لها قبلتِ الامم أنبياءَها وبها دانت لدعاتها . ثم نقابل أخبارنا بأخبارهم ومن نقلها الينا بمن نقلها اليهم فان كانت حجتنا وحجتهم في تصديقهم من يصدقون من أنبيائهم واحدة فلا حجة لهم عند الله وعند أنفسهم في تكذيبهم صاحبنا وتصديق أصحابهم . لانهُ اذا احتجَّ مختلفان في دعوى من الدعاوي بحجة واحدة فهما بها مشتركان سيّان يجبُ لاحدهما بها ما يجب للآخر لا محالة

---

(١) لعله اولاهن

في وجوه الخبر والاجماع العامي

الاخبار كلها على ضربين إما حق وإما باطل . ولها ثلاثة أوقات خبر ماضٍ وخبر مقيم وخبر مُنتظَر. ومنها مايصدُق مرة ويكْذب أخرى وهو كقولك جاءَ فلان أو شَخَص . فقد يكونُ ذلك حقاً ويكون باطلاً . ومنها ما هو حقٌ في كل وقت . كان أو يكون . ماضٍ أو مستأنَف. لانهُ خبر كُلّي دائم جليٌ وهو مثل قول القائلِ دار الفلكُ أو هو دائرٌ غداً . أو قوله اشرقتِ الشمسُ أمسِ . وهي مشرقةٌ بعد سنةٍ . ومثل قوله ان أكثر ذواتِ الارحامِ اذا وضَعْنَ أَحلبْنَ. وأكثرَ ذواتِ الاجنحةِ اذا سافَدْنَ بِضْنَ واذا بضْنَ فرَّخنَ . فهذا وما أشبهه خبرٌ حقٌ كُله في كل وقتٍ وهو الاجماع الاوَّل الاعم. ومن الاخبار ما هو كذب كله في كل وقتٍ تقدَّم أو تأخر وهو قولُ القائل هذا أنورُ من الشمسِ وأحلى من الشهدِ . وهذا الفرَسُ أسرع من البرق أو أقطف من قُرَادٍ . وقولُهُ اجتمع الناسُ كلهم حتى لم يبقَ أحدٌ . وان فلاناً خير [البَ] شر وأعلمهم كلهم . وان عنده عِلقاً يُساوي كل شيءٍ . وان بلادهُ أعْمر بلادِ الله كلها. فهذا وما أشبههُ من الكلام كذبٌ كله لكنهُ مستعمل بين أكثر الناسِ في مجاز كلامهم غير مستنكرٍ

وبعد الاجماع الأول الأعمّ الذي ذكرت اجماع ثانٍ هو دون

الاول في الكثرة والعموم مثل خبر آدم وحوّاء وأنهما أبوَا البشر فانهُ صحيحٌ عندنا لا شكَّ فيهِ لإجماع أكثر الناس عليه وشهاداتِ الانبياءِ على صحتهِ وهو عند خلقٍ كثير كذبٌ وزورٌ مثل الهند والصابئةِ وأشباههم

وبعد الاجماع الثاني اجماع ثالث وهو دون الثاني في الكثرة والعموم وذلك مثل خبر الروم والهند والصين فانهُ وان كان أكثر من يجيءُ بهِ سُوَقُ الناس وعوامُّهم فانهُ حقٌّ لا يُشكُّ فيهِ للاجماع القائم والشواهد الموجودة عليهِ

وبعد هذا الاجماع الثالث اجماع رابع هو دون الثالث في الكثرة العموم وهو مثل خبر ظهور الإسكندر والتبابعة وجَم الملاكِ وأمثالهم فانهُ مقبولٌ صحيح لاجماع خلق كثير عليهِ . غير ان من يُجْمع على خبر هذهِ الاقاليم أكثر ممّنْ يجمع على خبر التبابعة والاسكندر

واجماع خامس يتوارثهُ أهلهُ منذ دهرٍ طويل مثل خبر البِدَدَةِ والزنادقة والمجوس وهو حق عندهم لا يشكُّون فيهِ وباطل عندنا لا يُرْتابُ به (١) انما ظهر بالمَخْرَقَة والاغاليطِ ثم صار عندهم ديناً بالتوارُث والتقليد ثم بالإلف والعادةِ . فهذا من خاصيّات الاخبار والطيفِ مداخلها على الانفس والعقول موجودٌ غيرُ مدفوعٍ . وإن

(١) لعله يعتد به

منها ما اذا سمعهُ السامعُ طابت به نفسهُ وطار في وجههِ دمهُ وذرفت عيناهُ ضحكاً واهتزتْ استغراباً . ومنها ما يُذْري دمع السامع ويضني جسمهُ ويُذْبلُ وجههُ مثل أخبار الرزايا والنَّكبات . ومنها ما اذا سمعهُ السامع اهتزَّ للجود ودرّ للمستحلب المستَميح مثل مدح الأسخياء ووصف مايعتاضون بجودهم من المدائح والجوازي في الدنيا والآخرة . ومنها ما يُبخل السامعَ ويؤيسهُ من الخير مثل ذكرِ من أفقرهُ التبذير واضطرهُ الى المسكنة والإِستكفاف . ومنها مايغريه ويغضبهُ ويبسط يده بالضرب ولسانهُ بالشتم . ومنها ما يلهب شهوتهُ ويحرِّك ساكنهُ ويغلب غرامَهُ مثل ذكر الغواني ونعت محاسنهنَّ وطيبِ نشْرِهنَّ ولين مَلمسهنَّ وحُسن مبتسمهن لا سيما اذا صيغَ ذلك الخبرُ بجواهر النَّغمات الملهية الشجية . ومنها ما يحمل على تقحُّمِ الاهوال والاستقتال بعد انقراض المُخْبِرِ الأول بألف عام بل يزيد مثل ما ذكرنا من بِدَدَةِ الهند والمجوس وأشباههم . فان من الهند من يُحرِق نفسهُ بضروب من الإِحراق ومنهم من يرمي بدنهُ اسباع الطير حتى تأكله ومنهم من يهيم على وجههِ في الارض الفلاةِ حتى يتلفَ فيها ومنهم من يرمي نفسهُ من جبلٍ عالٍ فيتردَّى على شجرةٍ منصوبة من حديدٍ ذات شعَبٍ مشحوذة مؤَلَّلةٍ كالصوارم والشفار اغتراراً منهم بأخبارٍ أدَّاها لهم قوم من الكذابين العُتاة عن نفر من الخبثةِ الدُّهاة

وانما ذكرتُ ذلك ليعلم من يقرأهُ بأن قد يجب التحرُّز والهرب

منها الى ملاجئ الحكمة ومحالّ الفكرة والإعتبار فانها أضرّ بالانفس وأسرع فيها من السهام القاتلة والاستهيام. ومدخلها على القلوب من بابين طال ما غرًّا وكذبا بما يعروهما من التخاييل والظنّ . وهما حاسّتا السمع والبصر اللتان بهما تُدرَك سوانحُ الأخبار . أما البصرُ فربما خيَّل الشيءَ الواحد شيئين ورأى المستويَ كالمعْوَجّ مثل المرادي في الانهار . وربما صوّر المعدومَ كالموجود مثلَ اليَلْمع والسَّراب . وأما السمع فربما سمعَ انسانٌ دويًّا فظنَّ أنهُ الرعد أو يسمع من تحلّى كابًا أو أسدًا أو قُمْريًّا فيرى ان ذلك هريرٌ أو هديرٌ أو زئير

في الدلائل على تصحيح الاخبار

قد قدمت القول في تفصيل الاخبار وعجيب ما تُورثُ النفسَ والابدانَ من الحوادثِ والآثار . فأما ما أطبقتْ عليهِ الأمم في تثبيتها ورأتهُ استقصاءً وتحرُّزًا فيها فهو انهُ اذا ادَّعى مدَّعٍ حقًّا أو جاء بنبأ من الانباء ثم أحضر رجلين من أهل القناعة والعفو أو ثلاثة ثبُتَ بهم الحق وزال الشكُّ والشبهة عن الحاكم والمحكوم عليهِ . فاما خبر الانبياء فلأنهُ يؤدي اما الى الجنة أو الى النار فان نكتفيَ فيهِ بشاهدين ولا بقسامةٍ ولا بأمةٍ دون ان يكون معهم شهادات الحق ومقياسُ العِبَر التي أنا ذاكرها . لأنَّا قد رأينا أممًا كثيرة العدد عظيمة القدرِ موصوفةً بالأفهام والأحلام يشهدون لعدَّةٍ من الخبثةِ

الكذابين بجميع ماادَّعوهُ مثل الزنادقة والمجوس إما تقليداً وإلفاً كما بيّنا وإما غباوةً ومحكاً واما إجباراً أو كرهاً كما فعل زرادشت متنبئ المجوس فانهُ لم يزل يتأتى لبشتاسف الملك حتى وصل اليه وزرع من وساوسهِ في صدرهِ ثم لم يزلْ يَختِلُهُ بذكر الله والدعاء اليه ويفتلُ في الذروةِ والغاربِ حتى فتَلَه عن دينه ولوّاه الى رأيه ثم أظهر له ما كان يضمرهُ من الشرك وزيَّن له نكاح الامهات والبنات وأكل القذرِ المذرِ من النجاسات . فكان الملك بعد ذلك هو الذي أكره أهل مملكتهِ على دينهِ . وفعل ماني شبيهاً بذلك فانهُ ظهر في زمانٍ كان الغالبُ فيهِ دينان النصرانيةوالمجوسية فاختدعَ النصارى بأنْ قال لهم انه رسولُ المسيح عليه السلم وخلبَ المجوسَ بأن وافقهم على الأصلين

فلما وجدنا من الإِجماع ما هو هكذا ووجدنا منهُ ما هو كالإِسلام علمْنا ان قبول كل اجماع فتنةٌ وردَّ كل اجماع ضلالة وان الإِجماع وحدهُ ليس بكاف في تثبيت النبوّة دون شهادات الحقّ وإماراتهِ التي جمعها الله تعالى للنبي صلى الله عليهِ وسلم فمن أراد حقائق مثل هذه الاخبار وتعديلها احتاج الى أن يفهم الخبر الوارد عليه ويتدبر غرَضهُ وعُوارَه(١) فان وجد مُكَذِّبهُ فيه ومُبَطِّلهُ معهُ لم يحتَجْ الى برهانٍ غيره وذلك كخبر مسيلَمَةَ الكذاب فانهُ لما ادعى النبوة سُئل عن النبي صلى الله عليه وسلم فصدّق به وآمن بنبوته وسئل النبي صلى الله

(١ لعله أيضاً غوره

عليه وسلم عنه فكذَّبهُ . فكان في تصديق مسيلمة من يكذبهُ . تكذيب منهُ لنفسه ودليل على مناقضته وسخفِه . ولذلك قالت العلماء انهُ اذا انتحل النبوّة منتَحِلٌ مُبطلٌ لم يمهله الله حتى يجري التناقض على لسانه ليُحتَجَّ به على من صدّق به كما أجرى اللهُ على لسان زَرادُشت وماني ونظرائهما فانهما قد ناقضا وكذَّبا وتذبذبا

قال زرادشت ان هُرمز وهو اسم معبودهم قديمٌ رحيمٌ تامُّ العلم والقدرة ثم لم يلبثْ ان وصفهُ بما يوصِفَ به العجَزة الجهّال في قوله ان الشيطانَ تولَّد عن فكرته وان الله يعجز عن إبطاله . وكذلك فعل ماني في قوله ان الله قديمٌ عزيزٌ لا يشبههُ شيءٌ ثم قال ان الظلمة قديمة وان الله مقهورٌ وحزبهُ مقهورون مأسورون . ومن آمن بمن يكذّب نفسهُ فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً

وكذلك النصارى فانهم لما قالوا في أول شريعة دينهم انا نؤمن بالله خالقِ كل ما يُرَى وما لا يُرى ثم أتْبعوا قولهم ذلك بأن المسيحَ خالقٌ غير مخلوقٍ فبدأَ التناقض في قولهم . واذا رجعنا الى كتب دينهم وجدناها مخالفةً لاعتِقادهم فكلُّها تُثبتُ أن اللهَ هو الصانع وما سواهُ مصنوعٌ . وقد بينتُ ذلك في الجزء الذي يتلو هذا الجزءَ وشرحتُ فيه ما يلزم أصناف النصارى كلهم واحتججت عليهم بمائة وثلاثين حجة من كتب الانبياء سوى الحجج البرهانيّة والامثال

المضروبة والمقاييس الباهرة . وتوخيتُ بذلك تبصُّرَهم رشدهم وتأدية ما أوجب الله على بعض الخلق لبعضهم من المحبة والشفقة . فأمّا ما يلزم اليهودَ وغيرهم فقد بيّنتُ في الجزء الرابع وأوجزتُ القول فيه ولم أُقصِّر . فهذا بابٌ لطيفٌ وردٌّ موجزٌ ونقضٌ يسيرٌ غير عسيرٍ وهو أنهُ اذا وردَ على ذي الفهم واللبِّ خبرٌ من الأخبار تدبَّرَه نِعمّا (١) وقلَّبهُ ظهراً لبطن فان وجدَ مبطّلهُ فيه ومكذّبهُ معهُ أو وجدهُ مخالفاً لكتبِ ديانة القوم لم يحتَجْ في تكذيبه وكشف عورته وعوارهِ الى غيرهِ . وكان في سرعة وجدان الحق شفاءٌ للقلب . كما صنع مُعَوية برجل من أهل البصرة سألهُ ألْفَي جذع لبناء داره . فقال لهُ مُعوية على كم دارُك . قال على فرسخين في فرسخين . قال هي في البصرة أو البصرة فيها . قال بل هي في البصرة . قال مُعَوية فالبصرة كلها أقل من فرسخين . فكان في نفس خبره مايشهد ببطلانه . وكالرجل الذي بلغنا أنهُ قال وهو بالعراق كنا (٢) بقُومِسَ باغٌ في غربي المدينة على ثلاثمائة فرسخ . فقال المحدِّثُ ان كان الخبر حقًّا فنحن الساعة في وسط ذلك الباغ . فليس بين قومس والعراق الّا دون ذلك . ومثل قول الفاخر في كتابه الذي فضَّل فيه قحطانَ على عدنان فانهُ ذكر ابناً لعديّ بن حاتم وقال فأين لكم مثله . أمرهُ أبوهُ أن يذودَ الناسَ عن وليمته فأبى الصبيُّ وقال يا أبتي مُرْ بهذا غيري . قال الفاخر فهذا جوادٌ ابن جوادٍ

(١) كذا بالاصل (٢) لعله لنا

ابن جوادٍ ومطبوعٍ ابن مطبوع ابن مطبوع . فوجدتُ هـذا الخبر نفسهُ يكذِّب قوله . وذلك ان أبًا الصبي قد امره أن يذود الناس عن طعامهِ وذلك هو الذي كرههُ الصبيُّ واستعفى منـهُ فهو اذاً جواد ابن بخيل ومطبوع ابن غير مطبوع

فهكذا فليفعل من أحبَّ تصفيةَ أخبار الانبياء وتمييزها. فليبحث عن شهادات الحق ومقاييس العبر التي وجدتها متوافرة مجتمعةً للنبي صلى الله عليه وسلم في عشرة معان لم يجتمع مثلها لأحد قط الا للمسيح عليه السلم . وأنا مفسر ذلك وكاشفهُ للاعيان ليعلم الناظرُ فيـه ان من كنَّ تلك الخصالُ معهُ ووُجدن له وجبت له النبوة ولزمت حجة الله البالغة من كفر به. أولها دعاؤه صلى اللهُ عليه وسلم الى الفرْد الدائم العلام العادل الذي لا يُغالب ولا يجار وموافقتهُ في ذلك جميع الانبياء . الثـاني ما كان [عليه) في نسكه وعفته وصدقه و محمود سننه وشرائعه . الثالث أنهُ عليه السلام أظهر آيات بينات لا يأتي بها الا أنبياء الله ونخباؤه . الرابع انهُ تنبّأَ على أشياء غائبة عنه فصحت في زمانه. الخامس انهُ تنبأ على حوادث جمّة من حوادث الدنيا ودولها صحَّت بعدهُ .السادس في أن الـكتاب الذي جاء به آية من آيات النبوّة بالضرورة وبالحجج التي لا تُدْفَعُ . السـابع ان غلبتهُ الأُمم آية بيّنـة بالضرورة والحجج التي لا تُدْفع. الثامن ان دعاتهُ الذين نقلوا أخبارهُ خيارُ الناس وأبرارهم و من

لا يُظنُّ بأمثالهم الأكاذيب والإفك . التاسع في أنهُ عليه السلم خاتم الأنبياء وأنهُ لو لم يُبعثْ لبطلتْ نبواتُ الانبياء فيه وفي اسمعيل عليهما السلم . العاشر ان الانبياء عليهم السلم قد تنبأت عليهِ قبل ظهوره بدهر طويل ووصفت مبعثهُ وبلدهُ ومسيرهُ وخضوع الأُمم له والملوك لأُمته

فهذه خصال نيّرة وشواهد كافيةٌ مَنْ أدلى بها ووجبتْ لهُ فازَ قِدحُهُ وأفلحَ حقُّهُ ووجب تصديقهُ ومن ردّها وجحدها خاب سعيهُ وخسر دنياهُ وآخرتهُ . وأنا ملخّص ذلك باباً باباً ومُستَشهِدٌ عليهِ الانبياء وغير مقتصر فيهِ على نبي واحد بل على جماعةٍ ولا على نبوة واحدة بل على ستين نبوة أو تزيد . وأقدم ما أرجو أن يجعل اللهُ فيهِ تقريباً وتقريعاً ومَخْرَجاً من العمى لمن لم يكن جباراً عتيًا ولا غويًا شقيًا . وهو انّا اذا سألنا النصارى خاصةً عن علة تكذيبهم بالنبي عليه السلم قالوا ان ذلك لثلاث خصال . أولاهنَّ انّا لم نجد أحداً من الانبياء تنبأَ عليهِ قبل مجيئه . والثانية انا لم نجد في القرآن ذكرَ آية ولا نبوّة لمن جاء بهِ . والثالثة ان المسيح أنبأنا أنه لا نبي بعدهُ . فهذه أقوى ما يحتجون بهِ عندهم . وأنا مطلق ذلك بتوفيق الله . فاذا قررت عندهم ان الامر على خلاف ما قالوا وأنهُ لا حاجة في تصديق الانبياء الى ما ذكروا لم يبقَ لهم عذرٌ فيما بين الله وبينهم . وكان المتعلل بتلك

الحجج المتعلق بها على سبيل فتنةٍ وهلاك . فجواب قولهم أنهُ لم يتنبأ عليهِ نبيٌّ . انهُ ان كانت نبوةُ الانبياء لا تثبت ولا يجب قبولها إِلاَّ بتقدم النبوَّات عليها فان من صدَّق بنبي من الانبياء لم تتقدَّمهُ نبوة نبي عليهِ فقد ضلَّ وفتن فليخبرونا عن موسى النبي نفسهِ صلى الله عليه وسلم من ذا الذي كان تنبأ عليهِ أو على داود أو أشعيا أو أرميا وهم عندهم من أفاضل الانبياء عليهم السلم ولا نبوة متقدمة عليهم . فمن آمن بهم فقد خالف الحقَّ الى الباطل بقبوله اياهم وباء بسخط من رب العالمين . فأما جوابُ قولهم أنهُ ليس في القرآن ذكر آيةٍ للنبي صلى الله عليهِ وسلم وان من لم يكن في كتابهِ ذكر آية ونبوة لم يجب التصديقُ بهِ فليخبرونا بالآية الموجودة لداوود النبي في زَبوره فان لم يوجدونا ذلك فلِمَ وبأية حجة سمَّوهُ نبيًا ولم يتنبأ عليهِ نبي قبله ولا وُجد في كتابه ذكر آيةٍ

فقد بان مما شرحتُ أنهُ لا حاجة في تصحيح خبر الانبياء الى نبوَّة متقدمة عليهم ولا الى أَن يكون ذكر آياتهم وأعلام براهينهم مقيدة في كتبهم . فقد كان من الانبياء من لهُ آيةٌ مذكورةٌ ونبوَّةٌ ناطقةٌ في كتابهِ لكنهُ لم يتنبأ عليه نبي قبله كما قد بينَّا آنفًا فلم يُدْفع بذلك حقهُ مثل موسى ودانيال وأشعيا ونُظرائهم عليهم السلم . وكان منهم من جمع اللهُ لهُ ذلك كلَّهُ مثل المسيح عليهِ السلم فانهُ أَظهر آيات باهرات وتنبأ على الغائبات المستورات وتظاهرتْ عليهِ نبوّات قبل ظهوره . وكان منهم من لهُ آيةٌ وليست له نبوَّة مذكورة في كتابه

مثل اليسع فانهُ أحيا ميتين ولم يتنبأ نبوَّةً رأساً ومنهم مثل حزقيال النبي ويوشاع وذويهما ممن لم يكن له آية وكانت لهم نبوَّةٌ ولكن نبونه التي تنبأ بها انما صحت بعد دهرٍ طويل فلا حجة لهُ فيها على من شاهدهُ ولا لمن قبلهُ حجةً في تصديقهِ اياهُ من غير آية أظهرها لأهل زمانه . ومنهم من لم تكن لهُ آيةٌ ولا نبوَّة ولا خبرٌ مقنعٌ في كتابهِ وهو معدود في زمرة الأنبياء مثل مالاخي وحجي وناحوم وانما كتاب النبيِّ منهم في ثلاث ورقات أو أربع فقط . ومنهم مريم النبية اختُ موسى وحنةُ النبيَّة فان هاتين خاصةً ليس لهما كتاب ولا نبوَّة ولا آية ولا دلالة وقد عدُّوهما في الانبياء . كيف وبأيّ حجةٍ يابني عمي سمَّيتم هؤلاء أنبياء . وهذه حالهم ولِمَ كفرتُم بنبوَّة النبي عليه السلام وله تلك الخصالُ المعدودة التي بعضها مُخلَّدة في القرآن وبعضها في الآثار التي تقوم مقام القرآن وان فيما في القرآن منها أوكد حجةً وأوضح محجةً وأصدق نبوَّةً . فكيف ومعها ما أنا موضحهُ من نبوَّات الانبياء البررة عليهِ واشارات اكثرهم الى نبوتهِ وزمانه عليهم جميعاً سلام اللهِ وبركاتهُ . فان قلتم إنا نافرنا النبي صلى اللهُ عليه وسلم وجانبناهُ لأنهُ لا نبيَّ بعد المسيح أوضحتُ لكم من كتبكم ان من نفثَ ذلك في أسماعكم وأجراهُ على ألسنتكم غيرُ ناصحٍ لكم بل غاشٌّ ولا موثوق به بل متَّهم

فمن ذلك ما في كتاب فراكسيس وهو رسائل الحواريِّين في

الفصل الحادي عشر انهُ قدم في تلك الايام أنبياء من بيت المقدس وقام احدمنهم وكان يسمى أغابوس فتنبأ لهم وقال انهُ سيكون في هذه البلاد مجاعةٌ وقحطٌ شديد. وقال في هذا الفصل انهُ كان في بيعة أنطاكية أنبياء وعلماء منهم برنابا وشمعون ولوقيوس من مدينة قوريينا ومانايل وساول. وهاولاء الخمسة من الانبياء بانطاكية فيما ذكر. ومن متنبئات النساء فمذكورة أيضاً. قال في الفصل التاسع عشر من هذا الكتاب انه كان لفيلفوس المفسِّر أربع بنات متنبئات. وقال لوقا في كتاب فراكسيس ان الزُّمَر المتوجهين [الى] أنطاكية كان نزولهم على بيت يهوذا وشيلا لانهم كانوا أيضاً أنبياء. فهذا باب منقطعٌ. وقولٌ قد هذَر وحججٌ لهم قد انحلَّتْ وانفسخت. ووضحَ بأن قد كان بعد المسيح قومٌ يسمونهم رسلاً وأنبياء مثل فولس نفسهِ. وأنا مفسّرٌ تلك الخصال العشر التي فسرتها بعون الله وتوفيقه ومقدِّم في كل باب ما هو مخلَّد في القرآن توبيخاً لمن زعم انهُ ليس في القرآن ذكر آية وتوخيّاً لان يعلم الناظرُ في هذا الكتاب فضلُهُ ومزيّة قدرهِ. وان الذين وُلدوا على الفطرة ورسخوا في الإسلام وأطنبوا في هذا الباب لم يبلغوا منهُ الّا دون ما بلغتُ. فمن اختلج في صدرهِ شكٌّ فَلْيَقِسْ كتابي هذا وما فيهِ من النبوات والحجج التامّات الشافيات وما تتبعتُ من قلائد القوم ومُعاياتهم بجميع ما أَلَّفهُ المؤلفون منهُ منذ ظهر الاسلام الى زماننا هذا. وذلك بتوفيق الله وعونهِ وبركة أمير المؤمنين أيَّده

الله وما يوجب الله فيه لأوليائهِ ومواليه . فهو الذي بعثني عليهِ مدَّ اللهُ في عمره وسدَّدني له وعرَّضني لعظيم الأجر وجميل الذكر فيهِ. وكنت من قبل أن أُسلِمَ غافلاً عنهُ هائماً لاأُبصر رشداً ولا أهتدي لشيءٍ مما انكشف لي من بعدُ . وللهِ المنّ والحمدُ . فلقد رفع الحجب عن الابصار وفتحَ الاقفال وأخرج من ظلمات الضلال

الباب الاول

في توحيدهِ عليهِ السلم ودعائه الى ما دعا اليه ابراهيمْ وجميع الانبياء عليهم السلم .

فأصحُّ الشهود على ذلك القرآن . فانهُ ينطق بان دعاء النبي عليه السلم لم يكن آلا الى إله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والى التوحيد والى ما دعت اليهِ الانبياء البررةُ ودلت عليه العقولْ الصحيحةُ فمن ذلك قول اللهِ تعالى في القرآن قلْ هو اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكُنْ لهُ كُفُواً أَحدٌ . وقال شَهِدَ اللهُ أنهُ لَا إِلهَ إِلاَّ هُوَ . وَالملائكةُ والَوا (١) العلمَ قائماً بالقِسْطِ . لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العزيزُ الحكيمُ . وقال قُل اللهمَّ مالكَ المُلْك تؤْتي الملك مَنْ تَشَاءُ وَتنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تشاءُ و تُذِلُّ من تشاءُ

(١) المشهور واولو

بيدِكَ الخيرُ إنكَ على كلِ شيءٍ قدير . وقال كيف تكفُرُون باللهِ وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يُحييكم ثم إليهِ تُرْجَعون . وَقالَ في فَضلِ اللهِ ورحمتهِ وعدْلهِ : مَنْ عَمِلَ صالحاً فلنفسهِ وَمَنْ أَساءَ فعليها وما ربكَ بظلاَّمٍ للعبيدِ . وقال ومن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ له فيها حُسناً ان اللهَ غفورٌ شكورٌ . وقال فَمَنْ يعمَلْ مِثقَالَ ذَرةٍ خيراً يَرَه وَمن يَعمَل مثقَالَ ذَرَّةٍ شرًّا يَرَه . وقال ما أَصابَكَ مِن حسنَةٍ فمِنَ اللهِ وما أَصابَكَ من سيِّئَةٍ فمن نفسِكَ . وقال لا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلا وُسعَهَا لها ما كَسبَتْ وعليها ما اكتَسبَتْ . وقال يُعَدِّدُ فضلَ اللهِ وَرأْفتَهُ بعبادهِ : إِنّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وإِنْ تك حسنةً يُضاعِفهَا ويؤْتِ من لدُنْهُ أَجراً عظيماً . وَقالَ وَما ظَلَمْنَاهم ولكنْ كانُوا أنفسهم يَظلمون . وقال فلما زاغُوا أزاغَ الله قلوبَهم واللهُ لا يَهدِي القومَ الفاسِقين . وقال ذلك بأنّهم آمنُوا ثم كَفَروا فَطُبِع على قلوبهم فهم لا يَفْقهُون . وقال من جاءَ بالحسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمثالها ومن جاءَ بالسَّيئَةِ فلايُجزَى إلا مِثلَهَا وهم لا يُظْلَمُون . وقالَ فكيف اذا جمعناهم ليومٍ لا رَيبَ فيهِ وَوُفِّيَتْ كل نَفْسٍ ما كَسبَتْ . فهذا هو إِيمانُ آدَم ونوح وابراهيم وجميع الانبياء والأصفياء صلواتُ [الله] عليهم لا يشكُّونَ فيهِ وَلا يمترون

الباب الثانى

في فضائل سننه وشرائعه

فأما أمورُه وشرائعُ دينهِ فحُبُّ اللهِ تعالى وحبُّ الوالدين وَصِلةُ الرَّحِمِ والجودُ بالمصُونِ والبذْلُ للماعون والزهد في الدنيا والصوم والصلاة والصدقة والزكاة والعفو عن المذنب والوفاء بالعهد ومجانبةُ الغدر والكذبِ ودفعُ السيئة بالتي هي أحسن وتحريم السُّكَر والفجورِ والزِّناء والرِّباء والأمرُ بافشاء السلم والمقام وضربِ هام الكَفَرَة الطَّغام وغير ذلك من الأمور التي لا تقويم دين ولا دنيا إلا بهِ . من ذلك قولُ الله عز وجل الذين ينفِقُونَ في السرَّاء والضرَّاء والكاظمين الغيْظَ والعافين عن الناسِ واللهُ يُحبُّ المحسنين . وقولهُ الذين يُنْفِقُونَ أَموالهم بالليلِ والنَّهار سِرًّا وعلانيةً فلهم أَجرُهم عند ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنُونَ . وقال خُذِ العَفْوَ وامُرْ بالعُرْف وأَعْرِض عن الجاهلين وإِما ينزَغنَّكَ من الشيطان نَزْغٌ فاستعِذْ بالله انهُ هو السَّميعُ العليمُ (١) . وقال ولا تصاعِرْ (٢) خدَّكَ للناسِ وَلا تمْشِ في الأرضِ مَرَحًا انَّ اللهَ لا يُحبُّ كلَّ مُختَالٍ فَخورٍ واقْصِدْ في مشيكَ واغضُضْ من صوْتكَ إِنَّ أنكرَ الأصواتِ لَصوتُ الحمير. وقال لا يُؤَاخِذُكم اللهُ باللَّغوِ في أَيمانكم ولكن يؤَاخِذُكم بما كسبت

(١) المشهور سميع عليم . (٢) المشهور تصعر

قلوبكم . وقال قلْ لا أَملكُ لنفسي ضرًّا ولا نفعاً إِلا ما شاء الله . وقالَ يُرِيدُ الله بكم اليُسْرَ ولا يريدُ بكم العسْرَ وقال إِن المسلمين والمسلماتِ والمؤمنين والمؤمناتِ والقانتين والقانتاتِ وَالصَّادقين والصادقات والصابرين والصابراتِ والخاشعينَ والخاشعات والمتصدّقين المتصدّقات وَالصَّائمينَ والصَّائمات والحافظينَ فرُوجهم والحافظات والذَّاكرين الله كثيراً والذّاكرات أَعَدَّ اللهُ لهم مَغْفِرَةً وأَجراً عظيما. وقال انَّ اللهَ يأْمر بالعَدْل والإِحسان وإِيْتاء ذي القرْبى وينْهى عن الفحْشاءِ والمنْكرِ والبَغْي يَعِظُكم لَعلَّكم تَذَكَّرُون . وقال وَلاَ تُطعْ كلَّ حلاَّفٍ مُهِينٍ همَّازٍ مشَّاءٍ بِنَمِيمٍ منَّاعٍ لِلخَيرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عتُلٍّ بَعْدَ ذلك زنيمٍ

فما ترك أمراً مقوِّياً مُصلحاً لعباده وموعظةً جامعةً لمرضاته الاَّ وقد نطق به . ومن فضيلة دعْوتِه عليهِ السلم انهُ عمَّ الناس كلَّهم بالدعاء ولم يدْعُهم النَّقَرَى ولا خصَّ بها طائفةً دونَ أُخرى كما فعل سائر الأَنبياء ماخلا المسيح عليهِ السلم . فانهُ عمَّ بالدعوة ووعَد بالغفران والجنَّة . فأَما الباقون فانهم كانوا يَخبطون من حَوْلَهم بالسيف خبطاً وينتسفُون أَموالَهم انتسافاً من غير دعاءٍ ولا إِبقاءٍ ولا إِعذارٍ ولا إِنذارٍ كما أُمر النبي صلى الله عليه وسلم

فأما زهدُ النبي صلى الله عليه وسلم وتورُّعه واستخفافهُ بزخارِف الدنيا وغُرورها فانيذا كرٌ منهُ ما يُستدلُّ بهِ على ان مَن كان في مثل تألُّهِه وعفافِهِ لم يُظن به الاختراعُ والبطل . فانهُ رُوي عنهُ عليه السلم انهُ لم يشبع قط من خبز ولا لحم الاَّ على ضِيق وشدَّة . وانهُ صلى الله عليه وسلم زوَّج ابنَته فاطمة من علي رضوان الله عليهما فكان ما جهزها به سريرٌ مُرَمَّلٌ بشريطٍ ووسادةٌ من ادَمٍ حشوُها ليفٌ وقِدْرٌ وقِرْبة وسَلَّة فيها شيءٌ مِن زبيب وتمر . وان عايشة رضي الله عنها كانت تقول إِن كنَّا لنمكُثُ اربعين يوماً مالَنا مصباحٌ . قيل لها ففيما كنتم تعيشون . قالت بالأَسْوَدَين الماء والتمر . وان فاطمة عليها السلم كانت تَطْحَن الطحينَ بنفسِها حتى غَذَّتْ يداها ورُئي أَثَرُ قطب الرَّحى في يديها . وانها شكَتْ ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم وسأَلتْهُ خادماً يخدُمها فقال لها إِي بُنَيَّة ما عندي ما يَسَعُ نساء المسلمين كلّهن وانت امرأةٌ منهنّ . فاكثِري ذكرَ الله وشكْرَه . وكان عليه السلم كثيراً ما يَشدُّ الحجَرَ بلتبٍ على بطنِه جوعاً ويأكل اذا أكل على الارض ويتوسَّدُ يدَه اذا نام ويلبَس العباءَ ويقول انا عبدٌ آكلُ وأنامُ مثل العبد . وانهُ كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى سُمعَ له أَزيزٌ كازيزِ المِرْجل من البكاء والازيزُ غَلَيانُ الجوفِ كانه صَريرُ المرجل

ومّما رُوي عنه عليه السلم من مكارم الأخلاق ومَعالي الامور ان جبريل عليه السلم أتاه فقال له يا محمد جئتُك بمكارم أخلاق الدنيا

والآخرة وهي ان تَصِل من قَطَعَك وتُعطيَ من حرَمَك وتعفوَ عمّن ظَلَمَك. وقال عُودوا المرضى وأطعموا الجياعَ وفُكّوا العُناة يعني الأَسرى. ومنهُ نهيُه صلى الله عليه وسلم عن قِيلٍ وقال وكثرةِ السؤال وإضاعة المال. وقال عليه السلم وهو يأمر بالقصد والقنوع انّ روحَ القدس نفث في رُوعي انّ نفساً لن تموتَ حتى تستكمل رزقَها. وقال ان عائِدَ المرضى على مخارِف الجنّة والمخارف جنى النّخْلِ. وقال عليه السلام ما أنا من دَدٍ ولا الدَّدُ مني يعني اللهو واللعب. وقال تزهيداً في الدنيا مَن جمع الأَموالَ فانهُ يجيء يوم القيمة وفوق عينيه شُجاعٌ أَقرع له نُكْتتان سوداوان وقال عليه السلم اتّقُوا النّار ولو بشِقّ تَمرَةٍ. وقال قمتُ على باب الجنّة فاذا عامّةُ مَن يدخلها الفقراء واذا اصحاب الجدّ محبوسون والجدُّ الحظُّ في الدنيا

وكان يقول عليه السلم رحِمَ اللهُ عبداً سكتَ فسلِم أو تكلّم فغنم. ورُوى عنهُ عليه السلم أنهُ لم يغضب قط ولم يَسأل أحداً شيئاً الاّ لسبيل الله ولم يسأله أحدٌ قط شيئاً الاّ أعطاه وابتغى به وجه الله. فأما ما سنّ وفرضَ الله تعالى على امّته من الصلوات والطّهارة والتهيؤ لها والتقدُّم فيها من الإستنجاء والإستياك والتّمَضْمض والإسباغ الذي معناه الإنقاء والابتدار الى الجماعات وحُسْن الخشوعِ والصمْت ولزوم الصفوف والسّكْت وتجديد السجود والركوع وما يُقال في كلّ ركعةٍ وسجْدةٍ حتى يستوي في علم ذلك كلُّ صغيرٍ وكبير عبدٍ

أو أمةٍ فان ذلك على ما يجب للخالق في جلاله وكبريائه اذا ما قام العبدُ بينَ يديه والتمسَ ما لديْه

ولقد رُوي عنهُ عليه السلم انه قال لِمَن حضرَهُ يوماً وقد استراث الوحيُ وكيف لا يحتبسُ الوحيُ وانتم لا تقلِّدون أظفارَكم ولا تقصُّون شواربكم ولا تُنقُّون براجِمَكُم. وكان يقول عليه السلم ان الصلاة لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلام البشر انما هي للتسبيح والتكبير وقراءة القرآن. وذلك خلاف فعل مَن يدخل فيها وهو سهكٌ او جنبٌ ومَن يقطع صلواتِه بالأحاديث واللعب والتبزّق والتَرْداد. ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم انهُ قال عن الله عزّ وجلّ أعددتُ لعبادي ما لا عين رأت ولا اذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلب بشرٍ بَلْهَ ما أطلعتُهم عليه. يعني فكيف. ومن رخص دينه ويسيره ما أمر اللهُ به على لسانه في السحور وتقصير الصلاة لمَن كان مريضاً أو على سفرٍ وقولهُ ان أيامَ التشريقِ أيامُ أكْلٍ وشرْبٍ وبعال

ومما يُعرَف به فضيلةُ دينه وحسْنُ مخارج أُمور القرآن انّا نجد التوراةَ التي في أيدي أهل الكتاب تقول ان كلّ قاتلٍ يُقتل. وقد كان موسى عليه السلم نفسُه وداودُ وغيرُهما من الانبياء قد قتلوا وقتل ملوكُ بني اسرائيل خلقاً كثيراً فلم يستحقُّوا بذلك القتلَ. فاما القرآنُ فانهُ يُحدِّد ذلك ويَحْظُره فيقول ومَن يَقْتُلْ مؤْمناً متعمِّداً فجزاؤهُ جهنَّمُ

خالداً فيها . ورُوي عنهُ عليه السلم انه قال مَن قتلَ نفساً مُعاهَدةً بغير حقِّها لم يَرَحْ رائحةَ الجنّةِ أي لم يجد رِيحَها . فهذا أمرٌ مزمومٌ مخطوم مُقوَّم مُهذَّب. وقال موسى وعيسى عليهما السلم كلُّ دعوى فانها تَثبُتْ بشاهدَين او ثلاثة وذلك في قول النصارى واليهود. وقد يجوز ان يكونَ الشاهدان فاجرَين كاذبَين . وقال اللهُ على لسان النبيّ صلى الله عليه وسلم وأشهِدُوا ذَوَيْ عَدْل منكم فحدَّد ذلك ونوَّره بقول وجيز حريز غير مُهْمَل ولا مغموز . وأمر موسى عليه السلم بني اسرائيل ان يلعنوا كلَّ من أخلَّ وقصَّر في شيءٍ من نواميس التوراةِ وشرائعِها لعْناً مُصرَّحاً على لسان الأمَّة. وقد يكون ان يُفرِطَ الرجلُ في بعضها او يهفوَ أو يزلَّ فيها ثم يندم وينيب فلا يستحق اللعنةَ . فأما القرآن فانه يقول والّذين إِذا فعلوا فاحِشةً أو ظَلَموا أنفُسَهمْ ذَكَرُوا الله فاستَغفَرُوا لذنُوبهم ومن يَغفرُ الذنوبَ الاّ الله ولم يُصرُّوا على ما فَعَلوا وهم يَعلَمون أولائك جزآؤهم مَغفِرَةٌ من ربِّهم وجنّاتٌ تجرِي من تَحتِها الأنهارُ خالدين فيها ونِعْمَ أجْرُ العاملِين. فهذه أنباءٌ وامورٌ تدلّ على ان مَن أدّاها مسدَّدٌ معصوم خائف خاشع ليس بمُنتَحِل مُستحِلّ ولا مُستخِفٍّ بالأمر هازِل

الباب الثالث

في آيات النبيّ صلى الله عليه وسلم التي ردها وجحدها أهلُ الكتاب

وأنا ذاكرٌ من آياته عليه السلمْ ما فيه بُرهانٌ لقوم يُنصفونَ وأبْدَأُ في هذا الباب بما في القرآن منهُ لِئَلا يَقولَ المخالفُ إنَّه لو كان للنبيِّ صلى الله عليه وسلم آيةٌ لَذُكرتْ فيه كما ذُكر في التوراة والإنجيل آياتُ موسى وعيسى عليهما السلم • فمِن آياته التي ظَهرتْ في أيّامه عليه السلم وشهد به القرآن انهأُسريَ به في لَيلةٍ واحدة من المَسْجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو قولُ اللهِ عز وجل سُبحان الذي أَسرَى بِعبْدِهِ لَيْلاً مِن المسْجِدِ الحرَامِ إلى المسجد الأَقْصى الذي بارَكْنا حَوْلهُ لِنُرِيهُ مِنْ آياتنا وقدكانت العربُ أَنكرتْ ذلك أنَّى وكيف قطع مسافة شهرين ذاهباً وجائياً في ليلةٍ واحدةٍ فاتاهُ أبو بكر رضوانُ الله عليهِ وسأله عن ذلك . فقال عليهِ السلم نعمْ ولقد مرَرْتُ بعيرِ بَني فُلاَن وهم بوادي كذا وقد ندَّ لهم بعيرٌ فدَلَلْتهم عليهِ . ومررت بِعيرِ بني فلان وهم نيامٌ فشربتُ من إناءٍ لهم وان عيرهم الآن ترِدُ يقدُمها جملٌ اورق عليه غرارتان احداهما(١) سوداء والاخرى برقاء . فابتدَرَ القومُ الثنيَّةَ فاذا البعيرُ قد اقبلتْ والجمل الاوْرَقُ يقدُمهاَ . فلم يجدوا لآيته مَدفعاً . وهي لعمري آية صريحة كافية موجودة في القرآن تجمَّع عليها اهل الاسلام طرًّا .

(١) بالاصل احدهما

ومن آياته التي ذكرها اللهُ في كتابهِ انه لما آذاه المشركون واستهزأوا بهِ قال لهُ فاصدعْ بما تُؤمَرْ واعرض عن المشركين انَّا كفيناكَ المستهزئِينَ. فهذا في القرآن ايضاً لا يختلفُ فيهِ اثنان ولا في تفسيرهِ وهوَ ان خمسة نفرٍ من رؤساء المشركين كانوا يستهزأُون به ويؤذونه فنزل عليهِ جبريل عليه السلم وقال له اذا طافوا بالبيت فسل الله فيهم ما احببْتَ فاني فاعلهُ بهم ومنزله عليهم. فمرَّ به احدُهم وهو لَهَب بن أبي لهَب في الطواف. فقال النبيّ صلى الله عليهِ وسلم أَكلكَ كلبُ اللهِ فأكلهُ الأسدُ. ثم مرَّ به الوليدُ بن المغيرَة فأومأ النبيُّ صلى الله عليهِ وسلم الى جرْحٍ كان في باطن رجله فانتقَضَ عليهِ وقتله. ومرَّ بهِ الأسوَدُ بن عبد يغوث فأومأ الى بطنهِ فَسُقي ومات. ثم مرَّ بهِ الأسود بن المُطّلِب فرَمى في وجههِ ورقةً وقال اللهمَّ اعمِ بَصَرَه وأثكلهُ ولدهُ. فابتُلي بذلك كلهِ. ومرَّ بهِ العاص بن وائل فأشار الى أخمَصِ رجله فدخلت في أخمصهِ شوكة. فقتلتهُ ومرَّ بهِ الحرث ابن الطلاطلة فأومأ اليه فتفقأَ قيحاً وهلك. وكُفي النبي صلى الله عليه وسلم أمر المستهزئين وكانوا آجِلَّةَ القوم وأعلامهم

ورُوِي عن آمنة أُم النبي صلى الله عليه وسلم انه حين وقعَ من البطن خرج معهُ نورٌ وأنهُ وقع على أربع قوائم وهو رافع وجههُ وبصرَهُ الى السماء

ومن آياته التي بهرتْ وبانتْ لجميع من شاهدَه يوْمَ بدْرٍ انهُ

حثاً في وجوه المشركين الترابَ وقالَ شاهَتِ الوجوه أي قبُحت فانهزموا وقُتلوا .

ورُوي عن أنس بن ملك رضي الله عنهُ انهُ سمع نداء رجلٍ وهو يقول يا رسولَ الله تهدَّمتِ البيوتُ من شدة المطرِ . فقال عليه السلم حوالَينا ولا علينا . قال أنَس فبصرتُ بعيني السحابة انجابت عن المدينة . وأنهُ قال صلى الله عليـهِ وسلم لمن حضره من المشركين من لَفَظَ منكم باسم أبيـهِ أو أخيهِ فأنا كاذب فما قدر أحدٌ منهم أن يلفظ بذلك . وأنهُ أُتي بقبضتين من تمْرٍ يوم الخنـدق فأمر أن يُصبَّ بين يديه . ونادى مناديهِ في الجيشِ فأَكلوا وشبعوا . وأنهُ انكسر سيف عُكّاشَةَ بن مِحْصَن يومَ بدرٍ . فقال يا رسول الله انكسر سيفي. فأخذ عليهِ السلم جذْلاً من حطبٍ وأعطاهُ إياهُ وقال له هُزّهُ فهزّهُ عكاشة فصار سيفاً وتقدّمَ وجالَدَ به ولم يزل بعد ذلك معهُ . وانهُ عليه السلام أخذ حصاةً فحرَّكها بيدهِ فسبَّحت ثم وضعها في يدِ أبي بكر فسبَّحت ثم في يد عمر ثم في يد عثمان فسبَّحت في أيديهم

وروي عن ابن عباس رحمة الله عليه أن رجلاً أخذ فِراخَ طيرٍ في غزاةٍ فجاء الطائر الى رسول الله صلى الله عليهُ وسلم ورفرف عند رأسهِ ثم وقع بين يَديه . فقال عليهِ السلم مَن أخذ فراخ هذا الطائر . اطلُبوها وردُّوها عليه فوجدوها عند بعضِ المسلمين فردُّوها عليه . ورُوي انهُ استناخَ بعير بين يديه ثم رَغا . فدعا النبي صلى الله عليـه

وسلم بصاحبه وقال ان هذا البعيرَ شكا وذكَرَ أنهُ لم يزلْ عندكم صغيراً تعملون عليه حتى اذا كَبُر أردتم قتْلَهُ . فقال الرجل صدقَ يا رسول الله وأنا مُمْسكٌ عنهُ . وروي أن بني غِفَار أرادوا أن ينحروا عجلاً لهم فنطقَ العجل وقال يا بني غفار أمرٌ نجيحٌ . صائحٌ يصيحُ بمكة لا إلهَ إلا الله فتركوه وأتوا مكة فوجدوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد ظهر فآمنوا به

وروي ان ذئباً شدَّ على غنم فقال الرعاة أما تعجبون من هذا الذئب . فنطقَ الذئبُ وقال أنتم أعجبُ مِنّي قد ظهرَ نبيٌّ بمكة يدعو الى الله ولا تُجيبونَهُ فهذه كلها أخبار مشهورة عند المسلمين كلهم لا ينكرون شيئاً منها لأنها ظهرتْ على رؤوس الملاءِ . ومن صحة آية الذئبِ أن وُلْدَ الرجل الذي كلّمه الذئبُ يُسَمَّونَ الى يومنا هذا بني مُكلّمِ الذئب . يتوارثون ذلك وينْسَبُونَ اليه لئلاَّ يُنْسى ولا يجدَ أحد مساغاً الى ابطاله . — ودعا عليه السلم على العرَب فاحتبس عنهم القَطْرُ وأجدبتِ البلادُ . — ورُوِي عنهُ عليه السلم أنهُ أخبر أبا سفينُ بأمر جرى بينهُ وبين امرأته هند فعجبَ أبو سفين من ذلك وقال أخرَجتْ سرِّي لأدُقّنَّ يدهَا على رجلِهَا . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لا تظلم هنْدًا فما أخرجَتْ سرًّا . فقال أبو سفين لقد اتَّهمتها وهَممْتُ بها . فأما اذ حدثتني بما حدثتُ أنا بهِ نفسي فقد علمْتُ أنَّها بريَّة مما ظننْتُ

ومن آياته عليه السلم التي ظهرت ما رُوي عن أَنَس ابن ملك . قال اتخذتْ أُمّي حيساً وبعثت بهِ الى النبي صلى الله عليه وسلم تسئَلهُ أن يَطعَمَ منهُ فقامَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وقال لأصحابه قوموا بنا فلمّا رأَتْ أُمي الجماعة قالت يا رسولَ الله أَعدَدْتُ لك شيئاً بمقدار ما تأْكلهُ وحدَكَ . قال فدعا النبيُّ صلى الله عليهِ وسلم بالبركة وقال لي أَدْخِلْ عليَّ عشرةً عشرة فكانوا يشبعون ويخرجون وأَكلنا معهم وشبعنا .وروي عن يَعلَى بن أُميّة ان النبيَّ صلى الله عليهِ وسلم أَراد الوضوء وهو في سفرٍ لهُ فقال اذهب الى تَينِكَ الشجرتين وقل لهما ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم يأمركما أن تجْتمعا فأقبلتا تخُدّان الأرض خدّاً حتى اجتمعتا وتوضأ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بينهما ثم أمرهما بالرجوع الى مكانهما فرجعتا

وروي أن يهوديًّا دعاه الى طعام وقرّب اليه شاةً مسمومةً فقال عليهِ السلم هذه الشاةُ تخبِرُني أنها مسمومة . فأقرَّ اليهوديُّ بذلك وقال أردتُ امتحانَك وقلت ان كان نبيًّا لم يخفَ ذلك عنهُ وان كان ملاَّذًا أَكل منها وأرحْتُ الناس منهُ . ورُوي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال كنا مع النبيِّ صلى الله عليهِ وسلم في سفرٍ فأصابنا عطشٌ شديدٌ فجهشنَا اليهِ وبين يديهِ تَوْرٌ فيهِ ماءٌ فوضع يدهُ فيهِ وجعل الماء يتحالُ من بين أصابعه كأنها عيونٌ فشربنا وروينا منه ونحن أربعمائة رجلٍ وتوضأْنا

فهذا في هـذا الـكتاب كافٍ ولو أردنا الاستقصاء لطال الـكتابُ . وفي هـذا شفاءٌ لمن أراد الله هدايتهُ وانقاذه . فان منـهُ ما هو مأخوذٌ وموجودٌ في القرآن نفسه ومنه ماهو مأخوذ عمّن أخذ المسلمون عنـهُ القرآن وأُتمِنَ على ما أُدّيَ الى الأمة منهُ . ومثلُهم في ذلك مثَلُ حواريّي المسيح عليه السلم الذين أدّوا الى النصارى أسفاراً من الانجيل ونقلوا اليهم أخبارَ المسيح . فان كانوا ثِقاتٍ مؤتمنين على ما نقلوا وأدّوا من خبره فانهم في جميع ما أخبروا عنـه غير متهمين . وان كانوا غير ثقاتٍ في ذلك فانهـم في جميع ما أدّوا متهمون غاشّون لأنفسهم أوّلا ثم للناس أجمعين

الباب الرابع

في أنهُ عليه السلم حكى أموراً غائبة عنهُ تمت في أيامه

ونبدأُ في هذا الباب بما في القرآن لتأكيد الحجة وإبطال العلة. قال الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم لتَدْخُلُنَّ المسْجِدَ الحرام إن شاءَ اللهُ آمنِينَ مُحلّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمقصّرِينَ لا تخافُونَ. فدخلوها (١) على ما قال الله في حياته . — وقال وَإِذْ يَمْـكُرُ بكَ الّذِين كَفَرُوا ليُثْبتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ اوْيُخرِجُوكَ ويَمْـكُرُونَ ويَمْـكُرُ الله والله خيرُالماكرِين. فـكان كما قال الله وأرادوا أن يمكروا بهِ فردّ الله مكرَهم وأَبْسَل

---

(١) كذا بالاصل

كَيْدَهم . وقال الله يا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عليهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا . فَضَرَبَ ٱللّه بذلك وجوه الكفار . فكان كما قال . وقالَ سَنُلْقِي(١) فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ . فكان كما أخبره الله به وفعل بهم كما أُمر به وقال أَلَمْ تَرَ إِلى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا يقولُونَ لإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا منْ أَهْلِ الكِتَابِ لَإِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُم لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَٱللّه يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ . فكان الأمر كما قال الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم فان أولائك أُخرِجوا فلم يخرج اخوانهم هاولآء معهم وقوتلوا فلم ينصروهم . فما عسى يقول القائل في هذه الآيات والقرآن ينطق بها والامة تشهد بحقيقتها وانها كلها تتوقع صحتها وتتحدث الرجالُ والنساء بها . فان ساغَ في مثلها التمويه والبهتُ وتقييده في القرآن فما نؤمنهم ان يكون في التوراة والانجيل أيضاً أباطيل مقيدة تجافى عنها مَن شاهد الامْرَ وأغضى عليها . فان لم يسغْ ذلك في التوراة والانجيل وفيمن حضرهما فذلك غير سائغ في القرآن وَحَمَلَتِهِ أيضاً .

---

(١) المشهور سألقي

وقال الله عزّ وجل في الناكثين من مشركي قريش قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ. فكان كما قال

فأمّا ما جاءت بهِ الاخبار الصادقةُ فمن ذلك عن سعد بن عبادة السّاعدي أنه قال كنا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم في غزاةٍ ومعنا رجلٌ لا يبارز رجلاً من المشركين الا قتله .فذكرنا ذلك للنبيّ صلى الله عليهِ وسلم فقال أما إنّهُ من أهل النار . قال سعد فما زلت أتبعهُ لأعرف عاقبة أمرهِ . فأصابتهُ جراحةٌ واستبطأ الموت فوضع سيفهُ على سرّتهِ وتحامل عليه حتى قَتَل نفسه.ورُوي عنه عليه السلام انه قال لخالد بن الوليد وأصحابه حين وجههم الى أُكَيْدَر دَوْمَةَ الجَنْدَلِ انكم ستأتونه فتجدونه على سطحه يتصيدُ البقرَ فوجدوه كذلك . وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه ضلت ناقتهُ فجعل يسأل عنها فقال المنافقون هذا محمد يدّعي خبرَ السماء وهو لا يدري أين ناقته . فعلم ما [يتحادثون به] وقال ألا واني لا أعلم الا ما علّمني ربي وقد خبّرني ربي أن ناقتي بوادي كذا متعلق [رأسها] بشجرة فطلبوها فوجدوها كذلك . وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه جمع الناس يوماً ونعى اليهم النّجاشي ملك الحبَشَةِ وصلى عليه وكبّر أربع تكبيرات . فورد الخبر بوفاته في ذلك اليوم وكان بينه وبين أرض الحبشة البحرُ ولم تكن مكة مدرَجةً مثل مدارج الشرق والغرب

الباب الخامس

في نبوات النبيّ عليه السلام التي تمّت بعد وفاته

ونبدأ في هذا الباب أيضاً بما في القرآن من نبوات النبيّ صلى الله عليه وسلم لئلا يبقى لأهل الفتنة والعناد حجة يستندون اليها ولا عُلقة يتمسكون بها . فمن ذلك قول الله عز وجل أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . اي انهُ يكون مذكوراً مقدَّماً اسمهُ بعد اسمِ اللهِ في كلّ خطبةٍ ومُنافثة ومُناظَرة ونكاح وصلاة

ومن ذلك قولُ الله تعالى إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً فنعَى بهذه السُّورةِ نفسهَ الى امّتهِ وأنبأهم بما هو كائنٌ بعده من دُخول الناسِ أفواجاً وأرسالاً في دِينِه فكان ذلك كذلك . يَرَونه ظاهراً بعد دهرٍ ولا يَدفعونه . وقال الله تعالى الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ . فكان ذلك كما قال في حربٍ كانت بين كِسرَى وقيصر وتبيَّن للعَرَب انَّ الوحيَ قد صدَق . وما زال ذلك حديثَهم وحديثَ صبيانِهم ونسوانِهم في البُيُوتاتِ يَتوقَّعونه ويستخبرون عنه حتى صحّ ذلك للجميع . ومن ذلك قولُ اللهِ عز وجل وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا

ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ امنًا . فهذه ايضاً نبوةٌ قد تمّتْ وظهرتْ لا يجدُ احدٌ الى إنكارها سبيلاً . فقد استخلف المسلمين ومكّن لهم دينهم وأبدلهم بالخوف أمناً . فأيةُ آيةٍ ونبوةٍ أصحّ وأبينُ من هذه

ومنه قوله هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَى وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ . فقد صدق اللهُ ورسولُه عليه السلم وظهر دينهُ على كل دينٍ وأذعن له اهلُ كل ملّةٍ . ومنه قوله للمُخلَّفين من الأعراب سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . وكان هاؤلاء قومٌ تخلّفوا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فأنبأهم انهم يقاتلون الرومَ والفرسَ او يُسلمون فكان كذلك كما في القرآن يشهد بصحتّه العيانُ . فما عسى يقولُ المخالفون في هذه النبوات وما عسى يسوغُ لهم فيها من الردّ والحجّة وقد برّتْ وتمّتْ وانتشرتْ شرقاً وغرباً وأشرقتْ . وإنْ غَمطَ ذلك غامطٌ ولم يكتف به وصمّم في ردّه وتكذيبه لم يوبقْ الاّ نفسَه ولم يُسْخطْ الاّ ربَّه ولم يُغيّر الاّ حظّه ولم يَقْدر أن يوجدَنا في كُتبهِ الاّ مثلَه

فأمّا ما جاءتْ به الرواياتُ التي لا شكَّ فيها فقولُ النبيُّ صلى الله

عليه وسلم انَّ لي خمسة أسماءٍ انا محمدٌ وأحمدُ والماحي يمحو اللهُ بي الكفرَ والحاشرُ أحشرُ الناسَ والعاقبُ اي اني آخر الانبياء . فقد صدَق حديثُه عليه السلم وختم اللهُ به النبواتِ ومحى به الكفرَ اي ذلّله وقلّله ومحاه عن سرّةِ الارض وقلبها وبقي رسمُهُ في أطرافها وحواشيها ورُوي انه كان على جبَل فتحرّك الجبلُ فقال اسكنْ فما عليك الاّ نبيٌّ وصدّيقٌ وشهيدٌ وكان معه ابو بكر فسمّي صدّيقاً وعمر وعثمان فاستَشهدا بعْدَه . وانه عليه السلم كان يقول لأصحابه أنا فرَطُكم على الحَوْض اي اتقدّمُكم . والفارطُ المتقدّم . فقبَضَه الله قبلَهم

وقال عليه السلم لفاطمة رضي الله عنها في مرْضتِه التي مات فيها انكِ أسرَعُ أهلي لحُوقاً بي فكانتْ اوّلَ من مات من أهلِه بعْدَه . وقال لعلي بن ابي طالب رضوانُ الله عليه لَتُخْضَبَنَّ هذه مِن هذا . وأشار الى لحيَتِه ورأسِه . وانّ عليًّا اعتلَّ بعْدَه علّةً شديدة فقال له أهلُه قد تخوّفْنا عليك مِن مرْضتك هذه . قال لكني لا أخافُها لان رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لَتُخْضَبَنَّ هذه مِن هذا . فكان كذلك . عُوفي مِن مرضتِه تلك ثم ضُرب على رأسه بالسّيف فقتل . وقال عليه السلم لعثمان ان اللهَ سيُقَمّصك قيصاً وانهم حاملوك على خلْعه فلا تفعلْ . فلما حُوصِر عثمان وقالوا له اخلَع الخلافةَ قال لهم ان النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال لي كَيْتَ وكَيْتَ ولستُ فاعلاً ما تقولون فقتِل . وقال صلى الله عليه وسلم لعمّار بن ياسر تقتلك الفِئَةُ الباغية فقتل بحرْبٍ بين علي ومُعَويةَ

فكان معوية لا ينكرُ الحديث لكنه يقول ليس أجنادي الذين قتلوه وانما قتله مَن غرَّه وأخرجَه الى القتال

وقال صلى الله عليه وسلم للزبَير بن العوام انك تقاتل عليًا وأنت ظالمٌ له ففَعَل وقرَّعَه عليٌّ بذلك . وقال صلى الله عليه وسلم لامرأته عائشة رضي الله عنها انكِ ستَنْبح عليك كلاب الحَوْءَبِ لما سارتْ الى البَصْرة سمعتْ نباحاً وهي تسير ليلاً فسألتْ عن الموضع فقالوا ماءٌ يقال له الحوءب فذكرتْ قولَه عليه السلم فاسترجعتْ وندمتْ على ما كان مِن خروجها . وكان عليه السلم يقول في الحسَن بن علي عليهما السلم انّ ابني هذا سيِّدٌ وسيصلح الله به بين فِئتَين من المسلمين . وقال عليه السلم زويتْ لي الارض حتى رأيت مشارقَها ومغاربَها وسيبلغ مُلْكُ امّتي الى حيث زويَ لي منها ومعنى زوي اي جُمِعَ . وانه اخذ يومَ الخندق المعولَ وضرب به كدْيةً كانت استصعبتْ على مَن يحفر فخرجتْ منها نارٌ فقال عليه السلم لقد رأيت من بين هذه النار مدائن كِسْرى. ثم ضرب ضربةً أخرى فخرجتْ نارٌ فقال لقد رأيت من بينها مدائنَ قَيْصر ولَيَمْنَحَنّها الله على امّتي مَن بَعْدي

ويروى انه عليه السلم كان اذا رجع من سفرةٍ بدأ بالمَسْجد فصلّى ركعتَين ثم أتى فاطمةَ رضي الله عنها . فأتاها عند مُنصرَفهِ من الخندق فجعلتْ تبكي وتَلْثِم فاه . فقال لها ما لك يا فاطمة تبكين . قالتْ يا رسولَ الله اراكَ شَعِثاً نَصباً قد اخلولقتْ ثيابُك . قال يا فاطمة انّ الله

بعث أباك بامر لا يُبقي على وجه الارض بيتَ مَدَر أو شَعَر الاّ أدخلَ فيه عزًّا او ذلا حتى يَبلُغَ حَيْث بلَغَ الليل . وروي عن أنَس بن ملك انه قال كنت مع النبيّ صلى الله عليه وسلم في حائط فسمعت قرعَ الباب فقال لي قم يا أنس افتحْ له البابَ وبشّرْه بالجنّة وأخبرْه انه يَلي أمرَ امّتي من بعدي . فذهبتُ فاذا أنا بابي بكر رضي الله عنه فبشّرته واعلمتهُ ما سمعت وانصرفت . فقرَعَ البابَ قارعٌ آخر فقال قم وافتحْ له البابَ وبشرْه بالجنّة وبأنه يَلي امرَ امتي من بَعْد ابي بكر ففتحت فاذا أنا بعمر رضي الله عنه ففعلت ما أمرت به . ثم سمعت قرْعَ الباب فقال لي عليه السلم قم وافتحْ له الباب وبشره بالجنّة وبولاية امر الامّة بعد عمر . فاذا أنا بعثمان رضي الله عنه

وروي عنه عليه السلم انه كان يقول لا تقوم الساعة حتى ترَوا أقواماً كأنّ وجوهَهم المَجانُّ المُطْرقَة. وانه صلى الله عليه وسلم يقول ايٌّ بلدا نكم خُرْشَة فقيل له خُراسان. قال ستفتح عليكم من بعدي . وما يشكّ احدٌ من أَبناءِ هذه الدولة العبّاسيّةِ وغيرهم انّ ابا مُسلم خرَجَ وهو غير شاكٍّ في انّ الغلبةَ والخلافةَ لأهلِ هـذا البيت . وانه لما اقترب من الحِيرَةَ وجّه مَن يَسألُ عمّن كان فيها مِن بني العبّاس فلما رآهم الرسولُ قال ايّكم ابنُ الحارثية وهو ابو العباس أَميرُ المؤمنين غفرَ اللهُ له . لانه كان في الحديث انّ اوّلَ مَن يُستخلَف ابن الحارثية لا يشكّون فيه . واعجبُ مِن هذا انّ بني امية لم يكونوا يشكّون في انّ الخلافةَ صائرةٌ

الى اهلها من اهلِ هذا البيت . فكانوا يقتلونهم ويطلبونهم تحت كلِّ حجَرٍ . وكان اهلُ خراسان يُرسِلون اليهم الرسلَ وهم بالشَّرَاة تأميلاً لهم . ولا يشكون في أَمْرِهم حتى قُتل منهم مَن قتل . ثم ظَهر الامرُ في الوقت الذي قدَّر اللهُ ان يظهرَ بأحاديثَ مأثورةٍ . ولقد بلغَنا انه وَرد على ابي العباس رحمه اللهُ فتْحُ [اليَمَنِ] والسِّنْدِ في يوم واحدٍ . فأظهر اغتماماً شديداً بذلك فقال له اهلُ بيتهِ يا أَميرَ المؤمنين انه يومُ سرور فما هذا الحزنُ . فقال لهم أَنَسِيتُمُ الحديثَ المأثورَ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ان فتحَ فاتحُ اليَمَنَ والسِّنْدَ في يوم واحدٍ فقد حضرَ اجلُه . فحُمَّ مِن يومهِ ومات بعد ايامٍ

ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كَتَبَ الى كسرى وقيصر كتابَيْن دعاهما الى الاسلام وبدَا بنفسه . فوضع قيصرُ كتابَه على الوِسادة وأَجابهُ بجوابٍ حَسَن . وأمَّا كسرى فانه مزَّق كتابَه وكتب الى فيروزَ الدَّيلَمي وهو باليَمَن يأمُره بالمَسِير الى النبي صلى الله عليه وسلم وأَخْذِه وقتلِه . فقال اللهمَّ مزِّقْ مُلْكَه فتمزَّق مُلكُه كما ترون . وسار اليهِ فيروزُ وأعلَم النبيَّ صلى الله عليه وسلم بما قد أُمِر به فيه . فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم انَّ ربّي أَعلَمني انه قد قُتِل ربُّك فأَمسكْ عني حتى يَصحَّ عندكَ الخبرُ . فأتاهم الخبرُ بذلك وأَسلم فيروزُ لِما رأى وسَمِع ودعا مَن كان باليمن مِن أَبناء الفُرْس الى الاسلام فاسلموا . فلما خرَج باليمن الكذابُ العَنْسِي يَدَّعي النبوةَ كتب اليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم

يأمره بقتله فدخلَ عليه فيروزُ وهو نائمٌ ولوى عُنقَه ودقَّها فقتله . وقال عليه السلم انّ هذا الامرَ لا يزال في قُريش يعني الخلافة . وقال صلى الله عليه وسلم للعبّاس عمّه وقد أتاه بعبد الله رحمةُ الله عليهما صغيراً ان هذا سيكون من افقه امّتي وأعلمهم بالتأويل والتنزيل . ودعا له وتفل في فيه وقال اللهمَّ فقّهْهُ في الدين وعلّمْه التأويلَ . فكان كما قال وسمّي لذلك الحَبْر

ومن الدلائلِ على ما يوجب الله للنبيِّ عليه السلم وللمؤمنين به ما جاءَ في الاحاديثِ المشهورةِ الشائعةِ من استسقاء عمر بن الخطّاب بالعبّاس بن عبد المُطّلب رضى الله عنهما عامَ الرمادةِ . فانه اخذ بيده وتقدم وقال اللهمَّ انّا جئناك نستسقيكَ ونستشفعُ اليك بِعَمِّ نبيّك . فما برِحوا حتى ارتفعتْ سحابةٌ ثم ارسلتْ مطراً جَوْداً . وكان يقول لاصحابه والذي بعثني بالحق لَإِنْ كنتم أَمسيتُم وُضعاء لتشرقُنَّ حتى تصيروا نجوماً يهتدي بكم المهتدون ويقال ان فلاناً حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عنه كذا وكذا فقد ترون ذلك كما قال

ورُوي انّ عِكْرِمةَ بن ابي جَهل قَتل في الحرب رَجلاً مِن الانصارِ وعكرمةُ يومئذٍ مُشركٌ فتبسّم النبيُّ صلى الله عليه وسلم . فقال له رجلٌ من الانصار يا رسولَ الله تبسّمتَ ان قَتل رجلٌ من قَومِكَ رجلاً منّا . قال لا ولكن تبسمتُ لانهما جميعاً في درجةٍ واحدةٍ في الجنّة . فأسلم عكرمةُ بعد ذلك واستشهد في وَقعةِ أَجْنادَين

بالرُّوم . وقال عليه السلم لِعَدِيّ بن حاتِم أَسْلِمْ يا عديّ تَسْلَمْ أَظنُّ الذى يَمنعُك يا عديّ من ذلك خَصاصةٌ تراها بِمَن حولي وانكَ ترى الناسَ علينا إِلْباً واحداً . هَلْ رأيتَ الحيرةَ . قال قلتُ لا . قال يُوشِك الظّعينةُ أن ترحلَ بلا جِوارٍ حتى تَطوفَ بالبيت . ولَتفتَحنّ علينا كنوزُ كسرى بن هرمز ثلاث مرّاتٍ . قال عديّ فلقد رأيتُ جميعَ ما قال عليه السلم . وقال ابو بكر رضي الله عنه حين ارتدّتِ العربُ ووجّه اليهم بالجيوش إِنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد وعَد المسلمين بالنصر والفتحِ مِن الله وان الله يُظهرُ دِينَه على كلِّ دين ولن يخلفَ اللهُ وعْدَه . فقد صدّق اللهُ ظنّه وحقّق قولَ النبيّ صلى الله عليه وسلم وارتفع الشكُّ

الباب السادس

في اميّة النبي صلى الله عليه وسلم وان الكتاب الذى انزله الله عليه وأنطقهُ بهِ آيةٌ للنبوة

ومِن آيات النبي صلى الله عليهِ وسلم هذا القرآنُ وانما صار آيةً لمعانٍ لم ار احداً مِن مؤلّفي الكتب في هذا الفنّ فسّرها بل أطلقَ القوْلَ والدّعوى فيهِ . وما زلْتُ وأنا نصرانيٌّ اقول ويقول عمٌّ لي كان مِن علماءِ القوم وبُلَغاءهم ان البلاغات ليستْ مِن آيات النبوة لانّها مشتركة في الأممِ كلّها حتى اذا اعتزلتُ التقليدَ والألفَ وفارقتُ

لزازَ العادةِ والتربية وتدبّرتُ معاني القرآن علمتُ ان الامْرَ فيه كما قال اهلُه . وذلك اني لم اجدْ لأَحدٍ عربي ولا عجمي هندي ولا رومي كتاباً جَمَعَ من التوحيد والتهليل والثناء على الله عز وجل والتصديق بالرُّسل والأَنبياء والحثّ على الصالحات الباقيات والامر بالمعروف والنهي عن المُنكر والترغيب في الجنّة والتزهيد في النار [مثل] هذا القرآن منذ كانتِ الدنيا فمَن جاءَنا بكتابٍ هذه نسبتُه ونعته وله مِن القلوب هذا المحلُّ والجلالة والحلاوة ومعه هذا النصرُ واليُمن والغلَبة . وكان صاحبُه النبي نزل عليه أُمّيّاً لم يعرفْ كتابةً ولا بلاغةً قط . فهو مِن آيات النبوة لا شكّ فيه ولا مِرْية

وأيضاً فاني رأيتُ جميعَ الكتبِ المخلدة لا تعدو ان تكون إمَّا في آدابِ الدنيا وأَخبارِ اهلها وإما في الدّين . فأَما كُتبُ الآدابِ والفلسفات والطبّ فان غرضَها ومَغزاها غير هذا الغرض ولن تُذكر مع كتب التنزيل والدين . وأَما ما كان منها في الدين فأَوّلُ مُسَمَّياتها وموجوداتها التوراةُ التي في ايدي اهل الكتاب . ونجدُ عامَّتَها في أَنساب بني اسرائيل ومسيرها من مصر وحطّها وترحالِها وأَسماء المنازل التي نزَلوها وفيها مع ذلك سُنَنٌ وشرائع تبهرُ العُقولَ ويعجزُ عنها حَوْلُ الرجالِ وطاقتُهم . فأَما ما في القرآن مِن تلك الاخبار فانما هي تذكيرٌ بأيّام الله وتمثيلٌ وتحذيرٌ وتنذيرٌ . وأَما الانجيل الذي في ايدي النصاري فانَّ جُلَّه خبرُ المسيح ومولده وتصرُّفه . وآدابٌ مع ذلك

حسنةٌ ومواعظ كريمة وحِكمٌ جسيمة وأمثال رائعة وليس فيها مِن السُنَن والشرائع والاخبار الاّ اليسير القليل

وأما كتابُ الزبورِ ففيه أخبارٌ وتسابيح ومزامير بارعةُ الحسْنِ فائقةُ الحلاوةِ وليس فيها شيءٌ من السُنَنِ والشرائع . وأما كتاب اشعيا وارميا وغيرهما من الانبياء فجُلُّها لعنٌ لبني اسرائيل وبشارات بالخزْي المعدّ لهم وازالةُ النِعمِ عنهم وإنزالُ النقَمِ والسطوات بهم وهَنَاتٌ سوى ذلك . قد لسن وطعَن عليها الزنادقةُ الخبَثةُ وقالوا انّ الحكيمَ الرحيمَ يتعالى عن أنْ يُوحي بمثلها ويأمر بما فيها مِن رشّ الدماء على المذابح وعلى ثياب الكهنة والائمة واحراق العظام وذِكْر الرُفوثِ والفُروث وما أشبهُ وتتابع الغضبِ والسخطات والإستِئنان بالجلاء عن البُيوت اذا تلمَّعتْ جدرانُها بالبياض . لان ذلك برَص يعتري البيوتَ . وما أُمر به قومٌ منهم بأن يمشيَ بعضُهم الى بعضٍ مُصلْتين وأن يتجالدوا صابرين حتى يتَفانوا ضرْباً وخبْطاً . ففعل القومُ ذلك ولم يعْصوا وأجابوا الى التفاني والاستقتال ولم يمتنِعوا . ومَن سارعَ الى مثلها فهو مطيعٌ وليس بعاصٍ ووليٌّ وليس بعدوّ . ولا يستحقُّ الاولياء وأهل الطاعةِ ان يُؤمَروا بالتفاني والتقتيل

ثم أمرَهم موسى عليه السلم ان يأتوا جبَلَين متقاربَين ويصْعدَ احدَ الجبلَين ستةُ أحياءٍ منهم ويصعدستة أحياءِ الجبلَ الآخَر وأن يقرأ قومٌ منهم نواميسَ التوراةِ التي لا يحْملها الرجالُ ولا الجبالُ ناموساً ناموساً

وسنّةً سنّةً ويقولون إنّ مَن خالف هذه النواميسَ وقصّر فيها وأضاع شيئاً منها فهو ملعونٌ. وتجاوِبهُم القبائلُ التي على الجبل الآخرِ بالتأمين لاولائك اللاعنين بأعلى اصواتِهم فلم يدَع احداً منهم الاّ عمّه باللعنةِ. وحمّلهم على ان يلعنوا اعقابَهم مِن بعدِهِم مجتهدِين طائعين في ذلك كلّه غيرَ مخالِفين فصاروا الى البَوارِ مِن قبلِ أن يستقرَّ بِهِم الدارُ والى اللعنةِ الشاملةِ من قبلِ ان يريحوا رائحةَ الغلَبةِ والسّعةِ

وفي مثل قولِ حزْقيال النبي ان اللهَ امره ان يحلقَ رأسَه ولحيتَه بسيفٍ صارمٍ حادّ. ومثل قول هوشاع النبي ان اللهَ امره ان يتزوّجَ بامرأة مشهورةٍ بالزناء فولدتْ له ابنَين وأمره ان يسميَّ احدَهما لا أرْحم والثاني ليْسوا حزبي ليعلمَ بنو اسرائيل اني لا أرحمُهم ولا اعتدُّ بهم أولياء وحزباً. وقال هوشاع عن الله في اليهود انّ امّهم زانية وأنهم وُلدوا لغير رشْدَةٍ. وقولُ بعضِ الانبياء لليهود عن اللهِ ان امّكم أعجبتْها ذكورُ أهْلِ مصر. وقال اشعيا وخطب على بني اسرائيل بخطبةٍ ثم قال انّ قائلَ ذلك هو الربُّ الذي نورُه بصهيونَ وتنّورُه ببيتِ المقْدس

فأمّا القرآن فان يُوجدَ فيه حرْفٌ ممّا يُشبِه ذلك بل منسوجٌ بالتوحيد والتهاليل والتحاميد والسُنَن والشرائع والخبَر والاثَر والوعْد والوعيد والرغْبة والرهْبة والنبوات والبشارات بالامور الجميلة التي تليق بجلال الله وحكمتِهِ وطَوْلِهِ وبَسْط الامل في الغفران والرأفة وقبول

التوبة والمعاني التي ترتاحُ لها الانفسُ وتستريح اليها الآمال فلا تَقنط. بل يقول الله فيه إنّ الله غفورٌ رحيمٌ. وَمَنْ يَغفرُ الذنوبَ إلاّ الله. ويقول يا عبادِيَ الَّذينَ أسرفوا علىَ أنفُسهم لاَ تقنَطوا مِنْ رَحْمَة الله إنّ الله يَغفرُ الذنوبَ جَميعاً إنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحيمُ. ولذلك استحقّ ان يُقال ان هذا الكتابَ آيةٌ من آيات النبوة اذ لم يكن له نظيرٌ مذ خلقَ الخلقُ وخُطّ في الرّق. وانه ليَشتملُ على فضائل أخرى باهرة ذات أنوار وأسرار وهي انّ تلك الكتبَ بل هذه التي للحكماء خاصةً انما الفها قومٌ أدباء علماء بعدَ [تفكّرٍ] وارتياض وبعد ان نشأوا في المدُن وسمعوا الاخبارَ وثافنوا العلماءَ

فأما النبيُّ صلى الله عليه وسلم فلم يكن كذلك بل أمّي أبطحيٌّ لم يَسمعْ مِن مصري ولا رومي ولا هندى ولا فارسي ولا اختلفَ الى مجالس الادباء لطلَب ادَب وقراءَة كتاب وجاء بكلام بَهرَ اهلَ اللغة وغمر اهلَ الفصاحة والسلاطة. وخضعتْ له رقابُ الامة فانه قال عن الله عز وجل قلْ فأتوا بعشر سُوَرٍ مِثله مفتَرَيات وَادْعُوا مَنْ استَطَعْتُمْ مِنْ دُون الله إنْ كنتُمْ صادِقينَ. وقال قلْ فاتُوا بسُورَة مِنْ مِثله وَادعُوا شهدَاءكمْ مِنْ دُون الله إنْ كنتُمْ صادقينَ. فما كان في القوم مَن تَزمزَمَ ونطق بل بَصبَصوا وأذعنوا ودانوا. وقد يحتجُّ علماء اهل الذمّة بأن النبيَّ عليه السلم كان أُمّيًّا وان الله لا يَبخلُ

على انبياءه برسم الكتابة اذ كان أحسن ما اختصهم به وأقلّ ما علمهم من غيبهِ وآياتهِ . والجوابُ فيه ان الله تعالى خصّ كلاً منهم عما رأى جل وعز فمنهم الخطيبُ البارعُ مثل داوود ومنهم التمتامُ والالثغُ مثل موسى ومنهم من أحيا الميتَ دون غيره ومنهم من فلق البحرَ وفجر من الصخر ينابيعَ المياه ولم يُعطَ ذلك غيره . ومنهم حكيمٌ كاتبٌ مثل سليمان ومنهم أميٌّ مثل داود فانه قال في زبوره مِن اجل اني لم أعرف الكتابةَ . فلم يُزْرِ ذلك به كما انه لم يُزْرِ بالمسيح ان لا يكون ملاعبَ الاسنةِ او من رُماةِ الحَدَق او لا يكون ماسحاً ولا مُهندساً . وكما انه لم يُزْرِ بموسى أن لا يكون لَسِناً خطيباً او ماشياً على الهواءِ وأن لا يكون أبرأَ الاكمهَ والابرصَ . وان لم يُزْرِ به وبداوود ونُظَراءِهما عليهم السلم ان لا يكون اللهُ رفعهما الى السماء كما رفع غيرَهما . فليس لقائلٍ ان يقول بَخِلَ على فلانٍ النبيّ بما جاد به لفلانٍ النبيّ بل قائلُ ذلك مُعانِدٌ ماردٌ

أما نرى انه لم يُعَبْ شمعونُ الصفا ولا متّى ولوقا تلامذةُ المسيح عليه السلم بأن لم يكونوا بلغوا مَدَى فولوس في بلاغتِهِ وبيانِهِ . وكذلك النبيُّ صلى الله عليه وسلم لم يَشِنْهُ انه أُمّي مثل داود بل جعل اللهُ ذلك آيةً باهرةً وحجةً على مَن كفر به من قَوْمه اذ كان قد صحّ عند الامم وأهلِ الذمةِ انه لم يجيء بهذا القرآن بفضلِ بيان او حكمةٍ ارضيّة . ولقد كان عليه السلم مُوجزاً في كلامهِ نَزُوراً يذمُّ المِكثارَ المهذارَ ويترسّل في القول . بلغنا ان عائشةَ رضي الله عنها كانت تقول انه لم

يكن النبي صلى الله عليه وسلم يَسْرِدُ الكلامَ سَرْدَكم. كان كلامُهُ نَزْراً وأنتم تنثرونه نثراً. ولقد ذهب يوماً يتكلّم فضاق به فسكت ثم قال ان هذا البكاءَ امرٌ يكون في الانبياء والبكاء الإقلال من قولهم بئرٌ بَكيئةٌ اي قليلةُ الماء وشاةٌ بكيئةٌ اذا كانت مُنقطعةَ اللبنِ

وسمعَ عليه السلم واحداً يَتَشدّقُ ويشقّق الكلامَ فقال له اسكتْ ثم اقبل على مَن حضَر فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينّكم الشيطانُ. انّ أَحبَّكُم اليّ وأَقربَكم مني يومَ القيامةِ احسنُكم عملاً وان ابغضَكم اليّ وأبعدَكم مني يومَ القيامةِ أَسوأُكم عملاً واني أبغضُ الثرثارين والمُتَشدّقين والمتفيهقين. فالامّيّة التي عابَه بها اهلُ الذمّة غير مُزْرِيةٍ به ولا عائبة بل حجّةٌ وبرهانٌ مُنيرٌ. فلو جاءَ بمثل هذا الكتابِ الذي قد وصفتُهُ رجلٌ أديبٌ خطيبٌ لكان كذلك آيةً من الآيات فكيف اذا جاء به رجلٌ بَدَويٌّ أُميٌّ. فانّ ذلك يَشهدُ له ان اللهَ أَنطقه وروحَ القدسِ سدّده له وأَعانه عليه

الباب السابع

في ان غلبة النبي صلى الله عليه وسلم آية من آيات النبوة

ومن آياتِ النبي عليه السلم هذه الغلبةُ التي احتجّ بها المسلمون كافّةً. وقد كنتُ أقول فيها مثلَ الذي قال غيري من النصارى ان الغلبةَ امرٌ مشترَكٌ في الامم وما كان مشترَكاً فليس بآيةٍ من آيات

النبوة حتى اذا أفقتُ من سكْرةِ التّيه وهَبَبْتُ مِن سِنةِ الحيرة وانجابتْ عني فتنةُ التقليدِ علمتُ ان ذلك ليس كما قالوا . وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرَج وحيداً فريداً يتيماً عائلاً كما قال اللهُ عز وجل أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى وَوَجدَكَ عَائِلا فَأَغْنَى . فدعا العرَبَ قاطبةً والامم عامةً الى الايمان بالله عز وجل والناسُ يرمونه عن قوسٍ واحدةٍ ويزدرون به ويتشاوشُون له فما نَهْنهه ذلك ولا فلّه بل باح بالدِّين ولم ينكفِتْ ومضى قدماً لِما امره الله ولم يلتفتْ . فلما رآهم يَنْبذون امْرَه ويتهمونه ولا يدخلون في دِين الله ونعمته طَوْعاً أدخلَهم فيهِ كَرْهاً حتى ظهرتِ الدعوةُ ودانتِ العربُ قاطبةً وتتابعتْ فيهم الآياتُ والنبواتُ واُحْلَولى لهم الدِّينُ وسطع اليقينُ فبلَغ من حُبِّهم له بعْد البغضةِ وانقيادِهم بعد العداوة ما قد يرون ويَسْمعون

فَن ادَّعى غلبةً كانت باسم اللهِ منذ خلَق اللهُ الدنيا لها من الشرائطِ والمَحاسنِ والدعاء الى خالق السماء والارض والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة والنهي عن الشُّركاء والأَنداد والفواحش والنجاسات ثم ظهرت هذا الظهورَ والإستعلاءَ في أقطارِ الدنيا وآفاقها وبرِّها وبَحرِها . من لَدُن السُّوسِ الاقصى الى فيافِي الترْك والتبّت . بالبكّاءين والبَهَاليل والإشارة باسم الله ابرٰهيم واسمٰعيل واسحٰق ويعقوب وسائر الانبياء . وكان لدُعاتهِ من الزهد في الدنيا والإطراح لاسبابها ورفعِ الهمَمِ وحسْمِ النفوسِ عن كل لذّةٍ وشهوةٍ

والقُنوع بالقُوت المَسك والامر بالتسوية في القَسم والعدل في الحكم حتى لو انّ مُسلماً مؤمناً قتَل ذميّاً كافراً قتل المسلمُ به قَوَداً وعدلاً . عَلِمنا علماً يقيناً ان تلك الغلبةَ نقوم مقامَ آيات النبوات لا محالة

فأمّا ما عارضونا به مِن غلبات الامم فإنهم اذا فارقوا الاهواءَ التي تُعمي وتُصمّ وميّزوا العلل علموا ان غلبةَ الاسكندر وأرْدَشيرَ بن بابك وغيرهما لم تكن في الله ولا للدعاء الى الله ولا الى انبيائه بل لطلب الغلبة والعزّ والسُّمعة وهم مِن بين دَهرىّ او ثنَوىّ او وَثنىّ. فهذه لا تُقاس بغلبة الاسلام وجلالتهِ وإشراقهِ . ولهذه الغلبة بيّنةٌ اخرى كافيةٌ شافيةٌ وهي انها لن تخلوَ ان تكونَ من الله او من الشيطان . فان اقرّوا انها من الله فالاسلامُ اذاً حقٌّ يجب عليهم قبوله والدخولُ فيه . وان زعموا انها من الشيطان فالشيطانُ اذاً موافقٌ لله وأنبياءه غيرُ مخالف ومُطيعٌ غيرُ عاص إذ كان ينْصرُ مَن دعا الى الله الفرد الدائم ويُظهر دينَ مَن أمَر بالصوم والصلاة وينْهى عن الفجور والكفر والفحشاء والمنْكر ومَن جعل تكبيرَ الله وتمجيدَه شعارَه عند اللقاء ومقدّمتهُ عند الزحف وجنُتّهُ عند المداعسة والجلاد . وانّ مَن ظنّ بالشيطان ان يُعينَ على إظهار مثل هذا الدين وتأييده فقد أحسنَ فيه الظنّ وقال فيه الجميلَ وكذّب ما قال الله وأنبياءه فيه . كيف يُعين الشيطانُ مَن دعا الى مثل هذا الدين وفيهِ اجتثاثُ اصْله وانبتاتُ أسبابهِ وإبادةُ جميع عبَدتهِ ودُعاتهِ

وقد ظنَّ قومٌ من الفَسَقة بالمسيح عليه السلم مثل ذلك. وقال فيه ربّانيو اليهود ان هذا انما يخرج الشيطانَ برئيس الشياطين. فقال لهم المسيحُ ان كلَّ مملكة تفتن على نفسها فانها تَهلكُ ولا تقومُ وكل مدينة يَقَع فيها التشتّتُ والخلافُ فانها لا تَدومْ ولا تثبُتُ. قال فإن كان الشيطانُ هو الذي يُخرج الشيطانَ فكيف يدومْ ملْكهُ وعزُّه. فبهت اليهودُ عند ذلك. فهذه حجّتُنا على من قال في النبي صلى الله عليه وسلم ما قالت اليهودُ في المسيح عليه السلم. فانَّ مما ادّى النبيُّ عليه السلم عن الله عز وجل في الشيطان قوله أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وقولُه إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ. وقولُه اخرُجْ[1] مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وقوله لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وقولُه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ. وقوله قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ. ولقد أَمر النبيُّ عليه السلم بالاستعاذة منه في كل صلاةٍ ووقتٍ في قولِه أَعُوذُ بِالسَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

فان كان الشيطانُ ينصر مَن يلعنه ويُنذر الناسَ شرَّه لم نأْمَنْ ان يكونَ جميعُ ما ظهر من الأَديان باسم الله الفرد الواحدِ هو موافق للشيطان ومن عندِه. وقد أَجمعت الامُ كلُّها على ان الشيطانَ انما

---

(1) المشهور فاخرج

يأمرك بالشرك بالله وعبادةِ الأوثان والنيران ويزيّن الزناءَ والفجورَ والغدرَ وفيه محبّتُه ووسوسَتُه وأنه عدوٌّ لله وعدوٌّ لانبياءه الذين يأمرون بخلاف ذلك كلّه. فالله اذاً بريءٌ من حزب الشيطان والشيطانُ بريءٌ من حزب الله وأولياءه . وهذه الغلبةُ من الله لا من غيره

الباب الثامن

في ان الداعين الى دينه والشاهدين بحقيقة امْره كانوا خيار الناس وأبرارَهم

وقد ظنَّ قومٌ بحواريّي النبي صلى الله عليه وسلم الزورَ والزيغَ وقالوا فيهم فأثموا وحادوا عن سبيلهم فضلّوا . وأنا ذاكرٌ من فضائِلهم وزهدِهم وتورُّعِهم ما يدعو الى حسْن الظنّ بهم ويُكفُّ عن تنقُّصهم

في زهدِ ابي بكر رضوانُ الله عليه

فأوّلُهم ابو بكر رضي الله عنه . بلَغ من زهدِه في الدنيا واستهانتِه بها وتنزُّهه عنها أنه دُعي الى الخلافة وهي ارفعُ أُمور الدنيا قدْراً وأعظمُها شاناً وأجمعُها لكل عزّ ورفعةٍ وقهرٍ ولذّةٍ عاجلةٍ وآجلةٍ وأجلَبها لكل أُمنيةٍ . فامتنع منها وتأبّاها حتى أُكرِهوه عليها فطاف على الناس بعد ايّامٍ وهو يقول بأعلى صوتِه هل من مقيلٍ هل من مقيلٍ . فلما لم يجبْه احدٌ خطَب الناسَ وقال ان بيعتي هذه كانتْ فلتةً وانما قبلتُها أني خشيْتُ الفتنةَ . والله ما حرصتُ عليها يوماً ولا ليلةً ولا سألتُها الله سرّاً ولا علانيةً وما لي فيها راحةٌ ولا لي بها طاقةٌ . فهل سمع

السامعون برجلٍ أنبلَ من هذا نبلاً وأبأس ورعاً وأرفعَ همة الى الامور السماوية

وقد بلغ من عفته وتوقيه انه قدَّر لنفسه في كل شهرٍ من الرزق ستين درهماً من مال المسلمين . ويقال انه سأل ان يؤخذَ منه ماله ويُدْخَلَ في بيت مال المسلمين ويُنفقَ من رزقهِ كما يُنفقُ غيرُه فأبى المسلمون ذلك . فقال لهم هذه خلافتُكم ردٌّ عليكم . لا والله لا أليها الا على هذا فأجابوه الى ذلك . وبلغنا انه رضوان الله عليه رُإيَ بعد ان استُخلفَ بأيامٍ وهو يَرْفع قميصه لمَن زاد . وقيل له في مرضهِ ندعو لك الطبيبَ . فقال قد رآني الطبيبُ . قالوا فما قال لك . قال . قال انه يفعل ما يشاء يعني الله . فلما اشتدَّتْ علتهُ قال أين طبيبُكم هذا ليردَّها ان كان صادقاً . والذي أكْرَم وَجهَ ابي القاسِم ما في الارض نفسٌ تخرجُ أحبُّ اليَّ من نفسي ولا نفسُ هذا الذُّبابِ الطائر . وتعلمون مِمَّ ذلك . قالوا لا . قال لأني خشيتُ والله ان يجيء امرٌ يَحُولُ بيني وبين الاسلامِ . ويُريد به هفوَةً او خطيئةً

وعهد الى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عند وفاتهِ فقال ان حفظتَ وصيّتي يا عمرُ فانه لا غائبَ خيرٌ لك ان تلقاه من الموتِ وأنت لاقيه لا محالةَ . وإنْ ضيعتَ عهْدي لا غائبَ شرٌّ لك ان تلْقاه ولن تُعْجزَه . ولما حضرتهُ الوفاةُ اوصى الى عمر رضي الله عنهما فقال اني لم أُصِبْ مِن مال المسلمين شيئاً الا هذا البكرَ كنتُ أحملُ عليه الماءَ

فأشربُ ويشربون منه وهذه الجاريةَ كانت تخدمني وتخدمكم وهذه القطيفةَ ونبذَها برجلِه. ثم قال وقد رددتُ ذلك كلَّه وأنا حيٌّ سويٌّ.
وبلغ من خشيتِهِ ومن عدلِه انه اختصم اليه رجلان فكان احدُهما يَدْخل في حجة الآخر. فنهاه ابو بكر مراراً فلم ينْتـهِ. فرفع الدِرَّةَ واتَّقاها الرجلُ بيدِه فأصاب اليدَ وانكسرتْ ومضى الرجلُ كذلك فاغتمَّ ابو بكر رضي اللهُ عنه غمًّا شديداً وقال لِعُمر لا وَليتُ هذا الامرَ ابداً وما أَوقعني فيه غيرُك. فقال عمر واللهِ ان هذا الامرَ الزمُ لك من أُذُنِك إِي والله يُضرَب بالخشب وبالسيف. ثم قام ومعه عُمَرحتى صار الى الرجل ودفع ابو بكر الدرَّةَ اليه وبرك بين يديه وقال له استَقِدْ فُلاَن. يَكُنْ ذلك عاجلاً احبُّ الي من أن يكونَ آجلاً. فأبَى الرجل وقال لقد كنتُ على ان ارُوح اليك وأسئلَك ان تستغْفِرلي لاني أغضبْتك. فقال عمر للرجل لَتفعَلَنَّ ولَتجعلنَّه في حلٍّ قال الرجل فانت في حلٍّ يا خليفةَ رسولِ الله غفرَ اللهُ لك. فقام ابو بكر وهو يقول غفرَ اللهُ لك كما غفرتَ لي وعفى عنك كما عفوتَ عني

وخطَب رضي الله عنه فقال اني وليتُكم ولستُ بخيْرِكم فإن استقَمْتُ فأعينُوني وان ضعفتُ فقوُّوني. الضعيفُ عندكم هو القويُّ عندي حتى آخذَ له بالحقّ والقويُّ عندكم هو الضعيفُ عندى حتى آخذَ منه الحقَّ. الصدْقُ امانةٌ والكذبُ خيانةٌ. ما اطعتُ اللهَ أطيعوني فاذا عصيتُهُ فلا طاعةَ لي عليكم. فمَن كان هذا زهدُه في الدنيا وقد

مَلَكها وهذا قولهُ في الخلافة وقد أكره عليها لِمَ يُظَنُّ به قبولُ الباطل والقولُ به

في زهد عمر بن الخطاب وفضائله رحمة الله عليه ورضوانه

انه لا شيءَ من امر الدنيا اجلّ من الخلافة ولا اقلّ من القُوت والبلغة . فمن أتته الخلافة صفواً عفواً فعفّ عنها ورضي بالقُوت منها وقنع بالعرى والبؤس وافترش الحَصى وتوسّد الذراع وحسم نفسه عن كل شهوةٍ ولذّة وأُتي بخزائن كسرى المصونة منذ آلاف سنين فحقّرها وقذّرها ولم يمدّ يده الى درهمٍ ولا دينارٍ ولا دُرّةٍ ولا آنيةٍ ولا جوهرةٍ ولا حلةٍ ولا حِلْيةٍ ولا وصيفٍ ولا وصيفة منها. فما في الارض أزهدُ منه ولا أعفُّ ولا اكفُّ . وكان اذا وجّه جيشاً قال يا ايها الناس ان عليّ لكم ما ضمنتُ يوم وليتُكم لا آخذ من مالِكم درهماً الا بحقهِ واذا صار اليّ لم أخرجه الا في وجههِ ولا أجمّركم في البُعوث ولا أكلّفكم فوق طاقتكم . وأكون ابا العيال حتى تنصرفوا . فكان يختلف الى منازل المغيبات فيسلّم عليهنّ ويشترى حوائجهنّ بنفسهِ وهو امير المؤمنين ويأتيهنّ بكتب ازواجهنّ وينفذ اليهم كتبهنّ . ويقال انه رأى امرأةً مغيبةً قد حملت جرّةً فأخذ عمر رضي الله عنه الجرةَ وحملها على رأسهِ حتى اتى بها منزلَها . وأنه مرّ بشيخ نصرانيٍ وهو يسأل ويقول اللهمّ احكم بيني وبين المسلمين جبوني شابّا وأسلموني كبيراً . فقال عمر هاك عمر . ومضى مبادراً حتى ملأ غرارةً من دقيقٍ ودعا بحمّال

ليحملَها ثم قال للحمّال لا أنا أولى بحملها فحملَها على رأسهِ وأتى بها الشيخ مع دراهم دفعها اليه وأجرى له في كل شهر قوتهُ

وبعث اليه بسلَّة من حلْواء فقال هل أهدى لجميع المسلمين مثلها قالوا لا قال فلا حاجةَ بي الى مرفق او مطعم لا يعم جميع المسلمين وأمر برفعها من بين يديه . وقيل له في مرضتهِ نأتيك بالطبيب قال لو كان شفاءى في مسح أذني ما مسحتها . نعم المَذهوب اليه ربّي. ونظر اليه اهل الشام وقد نزل عن بعيره وهو يقوده وانتهى الى نهر فجلس وخلع خُفهُ بيده وخاض النهر فقالوا ما رأينا ملكاً في رهبانيّة غير هذا . ويقال ان عَليّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه كان في حائط له يعمل فسمع صوتاً عالياً فقال له الحسن بن علي عليهما السلم يا أبتي اصعَدْ تَر عجباً فاذا هو بعمر يعدُو خلف بعير قد ندَّ من مال الصّدَقة وهو يتصبّب عرقاً . قال علي رضي الله عنه هذا الاحوذيُّ بن حَنْتَمَةَ الذى لاَنَ في غير ضعف واشتدّ في غير عنُف

ولما أُتي بالهرمزان ملك الاهواز وعليه هيئَتهُ ولباسهُ والناس يتعجّبون منه قال لهم اين امير المؤمنين قالوا هو ذاك النائم . قال فأين حجبَتهُ قالوا ليس له حجبةٌ . قال فأين شُرطُه قالوا هو شرطيُّ نفسهِ . قال فأين مَجْلس مُلكِهِ ووِسادُه قالوا مَجْلسهُ الارضُ والترابُ وفرْشتهُ الحصَى ووِسادُه يدُه . قال لهم انّما قويتُمْ علينا بهذا . هانتْ عليكم الدنيا والحياةُ ورَغبْنا فيهما . ولما أُتيَ بخزائن كسرى وجواهِرِه صُبَّ

ذلك في المَسْجد صبًّا فأظهر اغتماماً فقيل له يا اميرَ المؤمنين انه يومُ سرورٍ . فقال انه لم يُفتحْ مثلُ هذا الفتحِ على احدٍ الاّ صار بأسهم بينهم . وجلس فكان يقسم المالَ بالكفّ وابنهُ جالسٌ ناحيةً كأنه شاةٌ كَسيرٌ . فلما رآه لا يُعطيه شيئاً قال يا أبَتِ كأنك لا ترى لي في هذا المال حقاً . قال بلى يا بُنيَّ ولكني اخاف ان يتّسعَ كفّي لك . فقال بَعضُ مَن حضَر فاني أدفعُ اليه ما حفنتْ لي واحفنْ لي غيرَه ففعل ذلك . وتناولتْ بُنَيَّةٌ له درهماً من المال فصاح بها فلم تُلْقهِ فقام اليها عمر رضي الله عنهُ فألقتهُ الصبيةُ في فِيها فلم يَزَلْ يعصرُ حلقَها حتى رمتْ به . وأهدى له رجلٌ حلّتَين فباعهما واشترى بثمَنهما خمسةَ رؤوس وأعتقهم وقال ان رجلاً آثرَ قِشْرَين يَلْبسُهما على عتقِ هاؤلاء لَغَبينُ الرأي

زهد علي بن ابي طالب رضوان الله عليه

يقال إنه لما استُخلِف علي بنُ ابي طالبٍ كرّم الله وجههُ رُؤيَ بعد ايامٍ وهو يَرفع سيفهُ لِمن زاد وهو يقولُ لو كان لنا عشاء ليلةٍ ما بعْناه . وكان من أحوَج الناس اليه فاضطرّتهُ الحاجة الى بَيعهِ وهو يستغلُّ من ضيعةٍ له في كل سنةٍ مالاً عظيماً وكان يخلي بيتَ المال في كل يوم ويرشهُ وينام فيه وهو يقول يا صفْراءُ غُرّي غيري خلا لكِ الجو فابيضي واصفرّي . ويقال انه كانت له قَطيفةٌ متَجرّدةٌ باليةٌ فألقتْ عليه وعلى عياله الجارية قطيفةً من قطفِ الصدقةِ فأنكر حَملَها وقال ما هذه . قالتْ قطيفةٌ من مال الصدقة فألقاها عن نفسهِ وقال لقد

أصردتمونا بقيةَ ليلتنا . وناداه رجلٌ وهو في بيتهِ نخرج اليه مسرعاً وهو يقول والبكاه

زهد عمر بن عبد العزيز وعبدِ الله بن عمر بن الخطاب وعدةٍ من خيار المسلمين رضي الله عنهم اجمعين

فان قال قائلٌ انّ هاؤلاء قد كانوا مُعتادِين للبُؤس وأنه لم يسغْ لهم غير ما فعلوا فقد يكون الرجلُ مُعتاداً للبؤس فاذا صار الى السَّعةِ اتّسع وتخرّق في اللذاتِ واستدرك منها ما فاتَ في خَوالي الازمنةِ . فهذا مُعوية وابنهُ يزيد ومن بعده من خلَفاءِ بني أميّة قد تمتَّعوا ونالوا لذّاتهم من كل مأكولٍ ومَشروبٍ ومَلْبوس ومشموم ومحبوبٍ ومعْشوق . فما انتطَح فيه عنْزان ولا امْتنَع عليهم اثنان . ما خلا الوليد بن يزيد بن عبد الملك . فانه كَشفَ القناع وخلَع العذَار وأهمَل الامر وبُلي بالاِيتسار (١) والقَدر الجارى . وهذا عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه وقد تقدّمهُ عدّةٌ مما ذكرْنا من أصحاب الملاهي وإخْوان الدنيا فلم يلتفتْ الى شيءٍ من ذلك . فلقد بلَغ من نسكه واستهانتهِ بالدنيا بعد أن كان أنعم اهل دهره بدناً وأطيبهم ريحاً وأحسنهم زينةً وأشدّهم في كل شيءٍ نيقةً أنه صعد المنبر بعد ان استُخلف فقال والله ما تمنّيت هذا الامر قطُّ ولا سألت الله فيه في سرٍّ ولا علانيةً فمن كان كارهاً لنا فالآن . وانّ ممّا حقّق به قوله هذا انهُ تهدّمت درجة في داره فرمّها بعض

(١) كذا بالاصل

اهله . فقال عمرُ رضي الله عنهُ سبحان الله كأنّ الذى صنع نفس على أن أخرج من الدنيا ولمّا أضع لبنةً على لبنة . ثم امر بهدمها

وأنهُ أُتي في يوم بارد بماء مسخّن فقال للجارية من اين لكم هذا . فقالت سَخّنّاهُ حيث يُطبخُ طعامُ المسلمين . فقال لولا انّكِ أتيتِنها بجهالة لم تخذميني بعدَها . أُردُدِي عليهم ثمَن الحطَب . واشترَى له غلامهُ ثوباً بعشرةِ دراهم فقال هذا ليّنٌ جداً أُريدُ أُدونَ من هذا . فقال الغلامُ لقد اشتريتُ له قبلَ الخلافةِ ثوبَ وَشيٍ بسبعمائة دينار فقال أُريد أرفعَ من هذا . وأنه قيل له يوماً ان بني أُميّةَ قد اشتدَّ عليهم ردُّك المَظالمَ فقال بوُدّي ان اللهَ قد ردَّ لي كلَّ مَظْلمةٍ على اني كلما رددتُ مظلمةً قطع من جسَدي أُنمُلة فيكون آخرُ مظلمةٍ اردُّها مع خروج نفسي . وكان يقول ما كَذبتُ منذ عقَلْتُ . ان الكذبَ يشين اهْله . وكَتب اليه عاملُ حمص يسئله ان يزيدَ في ثمَن قراطيسهِ ودهن مصباحهِ ويستأْذنهُ في مَرَمّة سُور المدينة فكتب اليه أرقّ القلمَ وأوجز الكلامَ واجمَع حاجتَين في حاجة وأما دهنُ المصباح فانّ عهدي بك وأنت تخرج في الليلة الظلماء الى المسجد لا مصباح معك . وأما سورُ المدينة فحصّن مدينتك بالعدل ونقّ طرُقَها من الجور

وكَتب اليه والي العراق بأن قد اجتمعت عنده اموالٌ عظيمة . فأمره ان يُوسع بها على المسلمين وذَراريهم في أرزاقهم . فكتَب اليه انه قد فعَل وحصلت اموالٌ . فأمره ان يُزوّج أبكار الرجال من ابكار

النساء . فكتب اليه انه قد فعل وحصل مالٌ . فكتب اليه ان يقوّي اهل الذمّة على العمارة ويجعله سلفاً عليهم فلا حاجةَ لعمر وآل عمر في شيء من ذلك . وبلغنا ان عبد الله بن عمر ابن الخطاب رحمةُ الله عليهما اشتهى في مرضهِ عنباً فوجدوا عنقوداً واشتروه له بدرهم وجاء سائلٌ فأمر بدفعهِ اليه فذهبوا فاشتروه من السائل وردوه اليه . فجاء سائلٌ آخر فدفعه اليه وأبى ان يذوقَ منهُ . وبلغنا ان الربيع بن خيثم رحمة الله عليهِ لما مرض قالوا لو دعوتَ بطبيب . قال قد اردت ذلك ثم فكّرت فقلت اين عاد وثمود وقرون . بين ذلك كثيرٌ . كان فيهم اطبّاء فلم يبقَ المداوون ولا الذي داووا . فما معنى الطبيب والموت لا مدفع له . وولي البصرةَ رجلٌ من اهل الشام وكان يستدرج القرّاء ويتأتّى لهم حتى يقبلوا ارزاقهُ وصلاتهِ . فعرض ذلك على امرأة ناسكة فقالتْ يا فاضح القرّاء والله اني لأستحْيي ان اسألَ مالِكَ الدنيا شيئاً من امرِ الدنيا فكيف اسألُ ذلك مملوكاً مثلي فقيراً

وبلَغ بعضَ وُلاةِ الكوفةِ من الهاشميّين عن رجُل مستور زهدٌ وورَعٌ . فبعث اليهِ بمال عظيم وامتنع الرجلُ من قبولهِ وظنّ الهاشميُّ انهُ ممّن يبغضُ دولتَهم ولا يستحلُّ مالَهم فهمَّ بهِ . وبلَغ ذلك الرجلَ فقام وصلّى ركعات وقال يا ربُّ انّهم رغّبوني فيما زهّدتني فيهِ وأرادوني على ما نهيتني عنهُ . فاقبضْني اليك . فوجدوه ميتاً في محرابهِ . وحجّ بعضُ الخلفاء فأتى زاهداً من زُهّادِ مكّةَ فما رفعَ اليه رأسَه وأحضرَه مالاً

عظيماً ليفرِّقه فيمَن يرى . فأبَى ان يقبله وسأله ان يوصيه فقال اتقِ الله فيما استرعاكَ من امورِ المسلمين واكتف بالقرآن هادئاً ومؤدّباً

فهذا زُهدُ عدَّةٍ من الملوكِ وأبناء الملوكِ وخيارِ الامّة الذين لا يوجد لهم شبيهٌ ولا شَرْوَى في ملوكِ الارضِ وأُمَمِ الانبياء مذ كانتِ الدنيا . فمَن كان كذلك لم يُظَنّ بهم الأَباطيلُ والكذبُ . ولقد اعتنقتْهم الدنيا فهربوا منها وأقبلَتْ عليهم بمحاسنِ وجهها فأدبَروا عنها وألقتْ اليهم أفلاذَ كَبِدها ودفائنَ كنوزها ونَصبتْ لهم غرائبَ فِخاخِها وبدائعَ خُدَعِها وفِتَنها فما دنَوا منها وقَنِعوا بالاطمارِ والاسمالِ وبالمَطعَمِ الجَشِبِ العلِثِ . وقد كانوا قبل الاسلام اصحابَ عزّ ونخوةٍ وسعَة وماشية ونعَمٍ وأرباح وتجارات . اقولُ ذلك بالحقّ الذي لا احبُّ شيئاً الاّ فيه ولا أُنصرُ قولاً الا له ولا أؤمّل فوزاً الا بهِ . فإن كان مَن صبرَ هذا الصبرَ وغلَب الدنيا هذه الغلبةَ يُظَنُّ بهِ الكذبُ والمَخرَقةُ فلَمْ يَسلَمْ مِن هذه الظِنّةِ والتهمةِ غيرُه

لانّ تلامذةَ موسى والمسيح عليهما السلام وإن كانوا أَبراراً أَطهاراً . فان الحقّ لا يُستَحيَ منهُ ويستحقُّ تقديمَه . ومتى اتُّهِم أَمثالُ مَن سمَّيْنا فبالحري ان نتهمَ مَن لم يَبلغْ درجةَ زهدِهم ولا ابتُلِيَ بمثل مِحنتِهم وخلاصِهم . لانهُ ان كان مَن تركَ مصيدَةً وفارق مَصلَحةً او خرَج عن مِهنةٍ او مزرعةٍ مِن حواريي موسى والمسيح عليهما السلم

يجبُ قبولُ قولهِ وتصديق خبَرِه فبالحَري أن يصدَّقَ مَن ملَكَ الخلافة بأسرِها فكانتْ أدَقَّ في عينِه من تَفْلَة في نهْر بل بَعْرة في بَحْر

فإن قال قائلٌ ان اصحابَكم انما صبروا على ما ذكرْتَ طلباً للعز والرياسةِ عارضْناهم بمثله وقلنا فكذلك يظنُّ بأصحابِكم انهم لما انتقلوا من حالِ السوُقَةِ والقلةِ الى ان أطاعهم المُطيعون وتبرَّك بهم المتبرِّكون واجتَمع اليهم اهل الاموالِ والاقدار ونَفذَتْ اوامرهم في الاهل والمال تاقتْ أنفسهم الى الرياسةِ فصَبروا في حبّها على الجَفاء والخشونةِ . فقد بلغكُم ما فعَل شمعون الصفا برجُلٍ باع ضيعتهُ وأتاه بثَمَنها متقرِّباً بهِ اليهِ فكان جزاءه عنده أنْ غضِب عليهِ وسأل اللهَ أن يُميتهُ وأهلَه من ساعتهِ لانَّ (١) البائِس لم يكن أتاه بالثمَن كلهِ بل ذخَر لنفسهِ وأهله بعضهُ . فان الحرْصَ ممَّا لا يظنُّ بحواريي المسيح (٢) . فكذلك ظنُّوا بحواريي محمد عليهِ السلم

فإن قالوا ان اصحابكم هاؤلاء وإن كانوا خياراً في انفسهم أبراراً فانهُ لما كانتْ شهادتُهم لابن عمّهم وفي استمالةِ الناس الى دينه شككْنا فيهم . قلنا وكذلك اصحابُكم ايضاً . فما شهد لموسى وعيسي الا بَنو عمّهما . فإن قالوا وما حاجَتنا الى شهاداتِ أمَمِنا لنا مع ايمان صاحبكم بأنبياءنا قُلنا فما تقولون فيمَن قبل قولَهم قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم أهو مصُيبٌ ام مُخطِئٌ رَشيدٌ او غويٌّ على انَّ بين نَعْتِ

(١) في الاصل لانه (٢) في الاصل فكذاك

المسيحِ الذي يؤمنُ به اهلُ الاسلامِ وبين مسيحِكم بَوْناً بعيداً جدًّا . فانَّ النصارى يقولون انهُ قديمٌ وهو عندنا حديثٌ . ويذكرون انه خالقٌ وهو عندنا مخلوق . وأنهُ قُتل وهو عندنا حيٌّ . فهذه نعوت مُتضادَّةٌ غير متُشابِهةٍ . وأيضاً فان الواجبَ للّهِ على الناس كافةً طلبُ الحقِّ واتّباعهُ في كل دهرٍ والواجب للناس على الله جلَّ ذكرُه تأْبيدُ الحقِّ وإِظهارُه وقطْعُ حجَجِ الشاكّين فيه ولسنا نشكُّ في ان كثيراً من الامم المُحيطين بأرض مِصرَ والشاماتِ قد كان يبلغُهم خبَرُ موسى عليه السلم وسائرِ الانبياء وتتوق أنفسُهم اليهِ والى اخبارِ المسيحِ قبل ظهور محمد صلى الله عليهِ وسلم وعليهم . ويسأَلون عنهُ مَن طرأَ عليهم . فهل كان يجب عليهم قبولُ ما يبلغُهم عنهما والتصديقُ بهِ أَوْ لا . فان لم توجبوا قبولَه كفرْتُم بكل نبيٍّ وان أَوجبتم ذلك قلنا ولِم وجبَ . فانما كان الذين يُخبرون بذلك ويشهدون بهِ يهوداً او نصارى ومَن قبِلَ قولَ أَمثالِهم واغترَّ به فهو مخالِفٌ للحق في قولكم راكنٌ الى الأباطيل والزورِ لانهُ صدَّق فيهما قولَ امتَّهما ونبي عمُّهما الذين لم توجَدْ عندهم آية ولا دلالة . فان كان قبولُ ذلك واجباً على تلك الامم قبل ان يَشْهدَ لهم بهِ محمد النبي صلى الله عليهِ وسلم فقبولُ خبَرِ أَصحابِ النبي صلى الله عليهِ وسلم ايضاً واجبٌ لا سيَّما وقد شهدتِ الانبياء له ووصفوا مخرجَه وزمانَه وذَكروا من تصحيح ذلك ما ليس لاحدٍ ان يدَّعيَه سوى المسلمين . لانهُ اذا ادَّعتِ اليهودُ تلك النبواتِ التي انا

ذاكرُها مكابرةً وجهلاً فما عسى يقولُ النصارى وهم يشهدون بأن اللهَ قطعَ دابرَ اليهودِ ومحا دينَهم عن جريد الارض وأخبر انهُ غير موجِب لهم رحمةً ولا مقيلٌ لهم عثرةً ولا قابلٌ منهم صرفاً ولا عدلاً الا بالرُجوع عنها ومفارقةِ أسبابِها

الباب التاسع

في انهُ لو لم يَظهرِ النبيُ صلى الله عليهِ وسلم لبطلتْ نبواتُ الانبياء في اسمعيل عليه السلم وفي النبي عليه السلم خاتمِ الانبياء بالضرورةِ لان اللهَ عز وجل لا يُخلف وعدَه ولا يُكذّب خبرَه ولا يُخيبُ راجيَه وقد كان بشّر ابراهيمَ عليهِ السلم وهاجرَ رحمةُ الله عليها ببشاراتٍ بيّناتٍ سارّاتٍ ولم نَرَها تمّتْ وظهرتْ الاّ بظهور النبي صلى الله عليه وسلم . ولقد بُشّرتْ هاجرُ مِن ذلك بما لم تُر امرأةً من نساء الماضين بُشّرتْ بأكثرَ منهُ بعد مريمَ الطاهرةِ والبتولِ امِّ المسيحِ عليه السلم . على ان مريمَ عليها السلم بُشرتْ بالمسيح مرّةً واحدةً وبُشرتْ هاجرُ باسمعيل مرتَين وبُشر ابوه عليه السلم مراراً . ثم ذكرَ اللهُ عز وجل هاجرَ بعد وفاتها كالمخاطب لها على ألسنةِ الأنبياء مراراً وأنا موضحٌ ذلك في أبوابه ان شاءَ الله

فأمّا ما أوحى اللهُ تعالى الى ابرهيم عليه السلم في اسمعيل وحدَه فهو قولُه على لسان موسى عليه السلم في السفرِ الاوّل من التوراة في

الفصل العاشر منهُ ان الله قال لابرهيم عليه السلم قد أَجَبْتُ دُعاءَكَ في اسمعيل وباركتُ عليهِ وكثرتهُ وعظمتهُ جداً جداً وسيلِدُ اثنَي عشرَ عَظيماً وأَجعله لامة عظيمة . فهذا في ترجمة مارقس الترجمان . فأما في التوراة التي فسَّرها الإِثنان وسبعون حبراً من أَحبار اليهود فانهُ يقول انهُ سيلد اثنَي عشرة امةً من الأُمم . فليس يكون من المواعيدِ والبشاراتِ في احد أَكثر من قولِ الله عز وجل اني قد باركْتُ فيه وكثرتُه وعظمتُه جداً جداً . وأَقَلُّ من هذا عن الله عز وجل كبيرٌ وأصغرُه جليلٌ . لان القدْرَ الذي يراه الله كبيراً عظيماً جداً جداً فلا قدْرَ أعظم منهُ . فهذا تبكيتٌ وتكذيب لذلك الجِلْفِ الجافي الذي وقع في اسمعيل وعابهُ بقوْل الله فيهِ انهُ يكون عَيْرَ الناسِ وأنا مفسِّر ذلك في هذا الباب توبيخاً لذلك المائقِ المشعوف . وقد كان موسى عليه السلم تنبأَ بمثل هذه النبوة في السفرِ الاول والفصل التاسع وقال انهُ لما هربتْ هاجرُ من سارةَ تَرآءى لها مَلَكُ اللهِ وقال يا هاجرُ أَمَةَ سارةَ من أَين أَقبلتِ وأين تُريدِين . قالت هاجرُ مُجيبةً له أَهربُ من سيِّدتي سارةَ . قال لها ملَكُ الربِّ ارجِعي الى سيدتكِ واخضعِي لها فاني سأُكثرُ ذرِّيَّتَكِ وزرْعَكِ حتى لا يُحْصَون كثرةً . وها أَنتِ تحبَلِين وتَلِدين ابناً وتُسمّيهِ اسمعيل لان اللهَ قد سمع تبتُّلَكِ وخُشوعَكِ وهو يكون عَيْرَ الناسِ وتكون يدُه فوق الجميعِ ويدُ الجميع مبسوطةً اليه ويكون مَسْكَنُهُ على تخوم جميعِ إِخوتِهِ . فهذه بشارةٌ

ثانية شافَهَ المَلَكُ بها هاجرَ عليها السلم عن الله عز وجل مشافَهةً وأَخبرَ ان اللهَ جاعلٌ يدَ ابنِها العليا وأيدي جميعِ الناسِ عنده السُّفلى ولم نر ذلك مِن نبوةِ موسى عليه السلم تمّتْ وظهرتْ الّا بعد ظهور محمد النبي صلى الله عليه وسلم

وقال موسى في السِّفْر الأَول والفصلِ الثالث عشر ان الله قال لابرهيم عليه السلم اني جاعلٌ ابنَ أَمَتِك ايضاً لامّةٍ عظيمةٍ لانهُ من زرْعِكَ فهذه بشارة ثالثة في اسمعيل عليه السلم . وقال موسى بعقْبِ هذا القولِ انهْ لما أَصبح ابرهيمُ أَخرجَ هاجرَ وولَدَه عن منْزِله طلباً لمسرةِ سارةَ وانتهى الى ما أَمَره الله به فيها وأنهُ دفَع اليها زاداً ومزاداً وحمّل الصبيَّ على كتفْها ووجَّهها لطيَّتها . فشخصَتْ هاجرُ وضلّتْ في البرّيةِ التي يقال لها بِئر سَبْع ونَفِذ ماؤها فوضعتْ الصبيَّ تحت أَصلِ شيحٍ وانتبذَتْ بقدرِ مَرْمى حجَرٍ لِئلا ترى موتَ ابنها وانها لكذلك (١) باكية حزينة . وسمع اللهُ صوتَ الصبيّ ونادى ملَكُ اللهِ هاجرَ من السماء وقال ما بالُكِ يا هاجرُ . ليفْرَحْ رُوعُكِ فقد سمع الله صوتَ الصبيّ . قومي احمليهِ وتمسّكي به فان اللهَ جاعلُه لامّةٍ عظيمة . وان الله فتَح عينَيها فاذا هي ببئرِ ماءٍ ودنَتْ فملأتْ المزَارةَ منهُ وسقتْ الصبيَّ منهُ . وكان اللهُ معها ومع الصبي حتى ترَبّى وكان مسكنُه في برّيةِ فاران وأقبلَ على الرمْيِ يتعلمهُ

(١) كذا في الاصل لعله لذلك

فهذا من نبوةِ موسى عليه السلم في اسمعيل وفي أُمهِ هاجر شبيه بقولِ جبريل الملاكِ لمريمَ البتولِ ان ربنا معكِ يا ايتها المباركةُ في النساء . ففُتِنَ النصارى بذلك وقالوا ان اللهَ كان حالاً فيها لِقولِ جبريل لها ان ربَّنا معكِ وقال موسى عليه السلم في هاجرَ مثْلَ ذلك وهو ان اللهَ كان معها ومع الصبيّ حتى تربى

فهذه اربع بِشاراتٍ خالصة في اسمعيل عليهِ السلم نَزلَ اثنتان منها على ابرهيم واثنتان على هاجر . فليُوجِدْنا ذلك الغَمْزُ الغافلُ بشارات من الله تعالى تتابَعتْ في مولود على والدَيْهِ منذ كانتِ الدنيا بأَكثر واشهر وأَصحّ من هذه . فأَمَّا ما بَشَّر اللهُ به ابرهيمَ في جميعِ ذُرِّيتِهِ ووُلدِهِ فانهُ ايضاً بشارتان إِحداهما قولُ الله عز وجل لابرهيم حين قرَّب ابنَه للذبيحةِ من اجل انكَ فعلتَ هذا الفعلَ ولم تُشفقْ على وَلدِكَ وفرْدِكَ فها أَنا أُقْسِمِ بنفسي لَأُباركنَّ عليك ولأُكثرنَّ ذرِّيتَك ولَأَجعلنَّهم في عددِ نجوم السماء ورَملِ سواحل البحار ويَرِث وُلدُكَ بلدانَ اعداءِهم ويتبرَّك بهم جميعُ أُممِ الأَرض . وتقولُ التوراةُ ايضاً ان ابرهيمَ قال ها أَنا ميتٌ وما لي ولَدٌ وعقِبٌ وانما يرِثُني عبدي وتِلادُ بيتي . فقال له الربُّ كلاّ لن يرِثَكَ هذا بل يرِثُكَ الذي يَخرجُ من صلْبكَ فاخرجْ وانظرْ الى نجوم السماءِ فإِن كنتَ مُحصياً لها فانك ستُحصي وُلدَكَ ايضاً

فتلك البشاراتُ الأَربعُ المتقدِّماتُ خالصة لاسمعيل وحده ويُشاركُ اسمعيلُ اسحقَ وغيرَه من إِخوتهِ في هاتَين . فتلك ستٌ

نبوات وبشارات قاهرات فيه (١) . ويزعمُ ذلك الجِلْفُ الجُرْمُقَاني الخبيثُ الغبيُّ ان اسمعيلَ غير معدود في وُلدِ ابرهيم عليهِ السلم . وانما تمّتْ هذه الكلماتُ وظهرتْ بظهور النبي صلى الله عليهِ وسلم . فأمّا قَبْل ذلك فقد علِمتِ النصارى واليهودُ كافةً انهُ لم يزل بنو ابرهيم المعروفون بهِ المنسوبون اليه في طائفة مِن طوائفِ الدنيا . فريق منهم بمصر خَوَل للفراعنة والقبط مُمتَهَنون مقهورون . وفريق في ناحية البوادي وأرضِ الحجاز بالجَفاء والحروب . ثم انتقل مَن كان منهم بمصر الى الشام ويُغادِيهم ويُراوِحُهم فيها مَن حَوْلهم بالحرب . ثم لم يلبثوا ان صاروا مُشَرَّدين ومطرودين مسلوباً عزُّهم زائلاً مُلكُهم مُنتشراً جمعُهم في آفاق الدنيا وأقطارها . فقد ضربتْ فيهم فَوَائِجُ السودانِ وأمواجُ الحُمْرَان حتى اذا ظهر النبيُّ صلى الله عليه وسلم تمّتْ تلك النبواتُ وظهرتِ البشاراتُ بعد دهرٍ طويل وغلب بنو اسمعيلَ على مَن حَوْلَهم فهشموهم هَشْماً وذرُّوهم في الهواء ذرًّا كما قالت الانبياء عليهم السلم وطحنوهم طحناً وانتشروا في آفاق الدنيا كالدّبا ومازجوا الاممَ كالدّماء والأرواحِ وعَلَوهم علوّ الثريّا فيما بين الهند والحبشان والسّوس الأقصى وبلاد الترك والخَزَر وملكوا ما بين الخافقَين وحيثُ يَصْطكُّ موجُ البحرَين . وظهر ذكرُ ابرهيم على أفواهِ الاممِ كلها صباحَ مَساءَ

(١) في الاصل فيهم

فليس من رجلٍ وامرأة عبد او أمة غنيٍّ او فقيرٍ مسرورٍ او مكروبٍ في برٍّ اوبحرٍ الا وهو يوحّد اللهَ ويُكبّر آلهَ ابرهيم ويعوذُ بهِ

فأَما اليهوديةُ فانما كانت ظهرتْ في طائفـةٍ من النـاس . وأمَّا المسيحيةُ فانها وان كانت قد ظهرتْ في أمة كبيرة جليلة فانهُ لم يكن لهم[1] في بلَدِ ابرهيم وزوجتِهِ سارة ولا في بلاد آبائها وأجدادِها ولا في بلَدِ هاجر وآباءها سلطانٌ قاهر ولا عزٌّ ظاهر كما جعل اللّٰهُ لهم بالنبي صلى الله عليهِ وسلم . وسآتي بشهادات الانبياء على ما ادَّعيتُ وأبدأ بالرد على ذلك الجلفِ الجُرْمُقاني الذي انتقصَ اسمعيلَ وعابَه بما وصفهُ الله به . ولولا غباوتُه وسخفُه لعَلِم انَّ لالفاظِ التنزيلِ وُجوهاً وأسراراً لا يعرفُها الا الراسخون في العلم . فقد قالتِ التوراةُ ان اللّٰه صار أسداً وافترس بني اسرائيل وقيل فيها ان اللّٰه نار محرقة وليس اللّٰه بنارٍ ولا سبعٍ ضار وانما ضربَ به مثَلاً للغضب والإحتدام والمعاقبة والإنتقام . وسمَّى المسيحُ رئيسَ حَواريه الذي استرعاه أمْر أمَّتِه شمعون الحَجَر وسمَّى أمته كلها النعـاجَ وسمَّى المسيحُ نفسَهُ حَمَلَ الله وخروفَه . فـلو عارَض مُعـارض ذلك السـفيهَ المائقَ بذلك لـكان له ان يقول ان العيْرَ اعزُّ وأمنعُ من الحَمَلِ الذي يأْكلهُ الذئبُ ويطمعُ فيه الكلبُ والثعلبُ . فلا شيءَ في ذوات الاربع اقل وأضعفُ منهُ . فإِن رجع ذلك الجاهل

(١) في الاصل له

الانوكُ ومَن يقولُ بقولِهِ الى تأويل هذه الاسماء رجعنا نحن ايضاً الى التأويل وقلنا :

ان تأويل العيرِ يشتمل على عدَّة معان منها ان اللهَ تبارك وتعالى أشار بهذا الاسم أن اسمعيل عليه السلم يأوي المَعاطشَ والفَلَوَات ويَنعُ جانبَه ويكون مِغواراً غيوراً كالعيرِ الذي يأوي البراريَ ويَخصي الذكر من جُحْشانِهِ للغيرةِ ويغيرُ على قِطْعانِ غيرِه من الفحولة فلا يزال يحاربُ الفحلَ ويُراكلهُ ويكادمهُ حتى يغلبَ على عانَتِهِ وقطيعِهِ . فاذا حازهُنَّ حرَسهُنَّ وذَبَّ عنهنَّ وطلَب نتاجهُنَّ ولم يأكلهنَّ كما تفعل الاسد والذئاب . فانَّ تلك انما تَطْلب الغلبةَ للاكلِ والإستراطِ وتطلب الاعيار الغلبةَ للنشاط والإنبساطِ . وسمَّاه الله بهذا الاسم ايضاً لئلا يَجدَ الجاحدون سبيلاً الى إنكارِ مَسْكنِ اسمعيل عليه السلم من البراري . وأن الله صيَّره في تلك البراري لمعنى جليلِ القدْرِ لطيفٍ وهو انهُ جل وعز احبَّ ان يصونَ نسبَه ويحفظَ حرِّيتَه من أن ينالَ مثلما نِيلَ بهِ غيره من الإسترقاقِ في الامم كما سبيَ ورزق غيره

فلْيَفهم ذلك الخيّاب الخاسر هذه المَعاني ولا يتمرّس بمَن أخبر الله تبارك وتعالى أنهُ قد بارك عليه وعظمهُ جداً جداً . فان مَن صغر مَن عظم الله كان كمن عظم من صغره الله وكفى بمن فعل ذلك خزياً وتوبيخاً . وللعَيرِ معنى ايضاً كان يستعملِه العجم وسائرِ الامم فانهم كانوا يسمُّون من كان فاتِكاً نَهِيكاً نَجِداً جوزْ . ولذلك سمي بهرام جوزْ ومعنى الجور

هو العَيْر . وبهِ سمي اهل طبرستان الجورية . ولهذا سمي الرجل الشجاع الارْيَحي جوْرْ مَرْدَاذْ اي عيرَ الرجالِ كقولِ العرَب للرجل الشجاعِ فلان كَبْش العشيرةِ وتَشْبِيهِم اياه بفحولةِ الإبل وقرومِها وبغير ذلك من الحيوان

الباب العاشر

في نبوات الانبياء على النبي صلى الله عليهِ وسلم وعليهم

وقد قدّمت ذِكرَ أربعِ نبوات في اسمعيل عليه السلم فيها من الشواهد على حقيقةِ أُمةِ النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يجهله الا جاهل ولا يجحده الا غبيّ وبأنهُ لو لم يبعَث النبيُّ صلى الله عليه وسلم لَبطلَتِ النبوات واستحالتْ . وأنا ذاكرٌ مما بقي من نبواتِ الانبياء عليهم السلم عليه ما هو كالمشاهدة والعِيان . فان منهم من قد وصف زمانَه وبلدَه ومَبْعثَه وتبعَه وأنصارَه وصرّح باسمه تصريحاً

فالنبوة الخامسة الدالة عليه المشيرة الى نبوتهِ وحقه قول موسى عليه السلم في الفصل الحادي عشر من التوراة من السفر الخامس وهو الاخير لبني اسرائيل ان الربّ الهكم يقيم نبيًّا مثْلي من بينكم ومن إخوتِكم فاْسمَعوا له . وقالتِ التوراة في هذا الفصل بعينهِ مؤكداً لهذا القولِ وموضحاً له . انهُ قال الرب لموسى عليهِ السلم اني مقيم لهم نبيًّا مثلك من بين إخوتهم وأيما رجل لم يسمعْ كلماتي التي يؤديها ذلك

الرجل باسمي أنا أنتقم منهُ . ولم يقم الله نبيًّا من إخوة بني اسرائيل الا محمداً عليهِ السلم . وقوله من بينهم تأكيداً وتحديداً انهُ من ولدِ أبيهم لا من ولدِ عمومتهِ . فأما المسيح عليهِ السلم وسائر الانبياء صلى الله عليهم فانهم كانوا منهم أنفسهم . ومن ظنّ بأن الله تعالى لم يُميز بين من هو من القوم أنفسهم ومن هو من إخوتهم فقد ظنّ عجزاً . فأمّا من ادعى ان هذه النبوةَ في المسيح عليهِ السلم فقد ظلمَ بخلتَين وتجاهل من وجهَين احدهما ان المسيحَ عليهِ السلم من ولدِ داوودَ وداوود منهم انفسهم وليس من إخوتهم . والثانية ان من قال مرةً ان المسيحَ هو خالق غير مخلوق ثم زعم ان المسيحَ مثل موسى فقد تناقضَ خبرَه وتذبذبَ قوله . وان من زعمَ ان هذه النبوةَ في يَشوع بن نون فقد أخطأ لأن يَشوع ليس يُعدُّ في الانبياء ولم يؤَد عن الله تعالى الى بني اسرائيل شيئاً سوى ما أداه موسى عليه السلم ولانهُ من القوم انفسهم وليس من إخوتهم . والنبيُّ الذي أقامهُ الله تعالى من بني إخوتهم هو محمد صلى الله عليه وسلم . وهو الذي من خالفهُ انتقمَ الله منهُ . فقد ترون آثارَ النقمةِ بينةً على من خالفهُ ودلائلَ النعمة ظاهرةً على من قبله

وقال موسى في هذا السفر في الفصل العشرين ان الربّ جاءَ من طور سينين وطلَع لنا من ساعير وظهَر من جبلِ فاران ومعهُ عن يمينهِ ربوات القدّيسين فمنحهم العز وحبّبَهم الى الشُعوب ودعا بجميع قدّيسيه بالبركة . ففاران هي البلدة التي سكنَها اسمعيل عليه السلم ولذلك قدّم

الله ذكرها في التوراة في قوله فكان يتعلم الرّمْيَ في بَرّية فاران ٠ وقد علم الناس كلهم ان اسمعيلَ سكنَ مكةَ ٠ فولده وأعقابهُ فيها وفيما حَولَها يَعرفون مأوى جدّهم ولا يجهلون بلدَه ووطنهُ . وقد طلع الربُّ من فاران . فإن لم يكن كما ذكرْنا فليوجدونا ربًّا ظَهر من جبل فاران . ولن يفعلوا . فأمّا اسمُ الربّ هاهنا فانهُ يَقع على النبي صلى الله عليه وسلم وهي كلمة مستعملَة من العَرَب والعَجَم في الله عز وجل وفي عبادِه كقولك ربُّ البيت وقول السُّريانيين لِمن أرادوا تَفْخيمهُ مار أي يا ربي ويا سيّدي ومار بالسريانية هو الرب

نبوات داوود على النبي صلى الله عليهما وسلم كثيراً

وقال داوود النبيُ عليه السلم في المزمور الخامس والاربعين من أجل هذا بارك الله عليكَ الى الابَد فتقلَد السّيفَ ايها الجبّار لانَّ بهاءكَ وحَمْدَك البهاء والحَمْد الغالب.إرْكبْ كلمةَ الحقّ وسَمْتَ التأله. فان ناموسَك وشرائعَك مقْرونة بهَيْبَة يمينك.وسهامك مَسْنونة والامم يَخرُّون تحتك . ولا نعرف احداً تجب له هذه المعاني من تَقْليد السيف وشَحْذ النُّصول وهَيبة اليمين ووقوع الامم تحتهُ الا النبي صلى الله عليهِ وسلم . فقد ركبَ كلمةَ الحقّ وتواضعَ لله بالديانة وجاهَدَ المشركين حتى ظهر الدّينُ

وقال داوود عليه السلم في المزمور الثمانية والاربعين إن ربّنا عظيمٌ محمود جداً . وفي قَرْية إلاهنا وفي جَبَله قدوس ومحمد . وعمّت

الارض كلهـا فرَحاً . فهـذا من نبوة داوودَ عليه السلم هو الإبانَة والتصريح الذي لا تلابسهُ شكوك فقد سمّى (١) النبيَّ تَسْمِيةً

وقال داوود عليه السلم في المزمور الخمسين ان الله أظْهر من صَهْيونَ إِكليلاً محموداً . فانه يأتي ولا يهمل وتحْرق النيران بين يدَيه وتَضْطرم حَواليْه اضطراماً . أفما ترَون ان لا يخْلي داوود النبي عليه السلم شيئاً من نبواته من ذكْر محمد او محمود كما قد تَقرأون . ومعنى قوله إِكليـلاً محموداً اي انهُ رأس وإِمام محمد محمود . ومعنى محمد ومحمود وحميد شيءٌ واحد في اللُّغة . وانما ضرَبَ بالإِكليل مثَلاً للرَّبّانية والإمامة

وقال ايضاً في المزمور الثاني والسبعين ما أكّد به وشَدَّد النبوات المتقدّمة انهُ يجوز من البحْر الى البحْر ومن لَدن الانهار الى منقطع الارض وأنهُ يَخرُّ اهل الجزائر بين يدَيه على ركبهم وتلْحَس أعداؤه الترابَ . تأتيه ملوك تارسيسَ والجزائر بالقرابين وتقرّب اليه ملوك سبَا وملوك سَابَا القرابينَ وتَسجد له الملوك كلُّهم وتَدين له الامم كلُّها بالطاعة والإِنقياد لانهُ يخلص المضْطَهدَ البائسَ ممن هو أقوى منه ويتفقد الضعيفَ الذي لا ناصرَ له ويرْأف بالضُّعفاء والمساكين وينْجي أنفسَهم من الضُّرّ والضيْم وتَعزُّ عليه دماؤهم وأنهُ يَبقَى ويعطَى من ذهَب بلاد سبَا ويصلى عليه في كلّ وقت ويبارَك عليه كلَّ يوم مثْلَ الزروع الكثيرة على وجْه الارض ويطلع ثِمارَه على رؤوس الجبال كالتي

(١) في الاصل سماه

تَطَلع [1] من لبنان وينْبت في مدينته مثْلَ عشْب الارض ويَدوم ذكره الى الابد. وان اسمهُ لَموجود قبْلَ الشمس فالامم كلُّهم يتبرَّكون به وكلُّهم يحمدونهُ . فهذه نبوة شافية كافية ما فيها لَبْس ولا إِظلام . فما نَعلم احداً ملَك ما بين البحرْ والبحرْ وبين الانهار التي ذكَرَها الله في التوراة وهي دجلَة والفرَات وبيْشون وجيْحون وخرَّت الملوك بين يديه سجداً على الرُّكَب ولَحس أعداءه التراب وأتتهُ ملوك اليَمن بالقرابين الا النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأمتـهُ والا مكة وما فيهـا من اثر قدَم ابرهيم . ولا نَعلم احداً يصلى ويبارَك عليه في كل وقت غير محمد صلى الله عليه وسلم . وهو قول الامم اللهمَّ صـلِّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد. فأية دلالة أشْهَر ونبوة أظْهر وأنور من هذه . ولقد ختَمَ داود النبي عليه السلم نبوَّتَه هذه بأنْ قال فالامم كلها يتبركون به ويحَمّدونهُ ويسَمُّونهُ محمداً ومعنى محمد ومحمود واحد

وقال داوود عليه السلم في المزمور المائة والعشرة ان الرب عن يَمينِك وهو يَكسر في يوم رجْزه الملوكَ ويُضعِف رُكنَ المُلْكِ ويحْكُم بينهم بالحقِّ ويُكثِر القتْلى والجِيَفَ ويَقطعُ رؤُوسَ بَشَرٍ كثيرٍ في الارض ويشْرَبُ في سَفَرِه من ماء الأَوديةِ ومِن أَجل هـذا يَسْمُو لِلْمَعـالي رأسُه .فهذه ايضاً صفةٌ كالعيان.فمَن ذا الذي كان الربُّ عن يمينِه والذي

---

(١) في الاصل كالذي يطلع

حكم بالحقّ وضربَ الرّقابَ وأكثَرَ القتلى والجيفَ غيرُه وغيرُ أُمتّهِ صلى الله عليه وسلم

وقال في المزمور المائة والتاسع والاربعين من أجل ان الربَّ ارتاحَ لشعبِه وتطوّل على المساكين بالخلاص فليتعزَّزِ الأبرارُ بالكرامةِ ويُسبّحونهُ على مضاجعِهم ويُكْرِموا اللهَ بحناجرِهم لأنَّ في أيديهم السَّيفَ ذا الشَّفرَتَينِ للانتقام من الشعوب وتوبيخِ الامم وإثقالِ ملوكِهم بالقيود وعِلْيَتِهم ومُكرَمِيهم بالسلاسلِ ليَحمِلَهم على القدَرِ المكتوبِ المُبْرَم فالحمدُ لجميع أبراره . أَمَا ترون يَهْديكمُ اللهُ هذه الصفاتِ خالصةً للنبي صلى الله عليهِ وسلم ولامتهِ .فهو الذي معهُ السيفُ ذو الشفرتَينِ وهو المنتقِمُ بأمتهِ من جبابرةِ فارسَ وطُغاةِ الرُّوم وغيرِهم وهو الذي قيَّدتْ أُمتُه الملوكَ وساقتْ جلتَّهم وأولادَهم في السلاسل والأغلال وهمُ الذين يُسبّحون اللهَ على مَضاجعِهم ويُكبّرونهُ صباحَ مَساءَ تكبيراً وفي كلّ وقت وذلك قولُهم اللهُ أكبرُ كبيراً والحمدُ للهِ كثيراً

وقال عليهِ السلم في المزمور المائة والثاني والخمسين فسمَّى البلَدَ والأَهلَ فلم يدَعْ موضعَ مقالٍ ولا اعتلال . وهو مزمورٌ يُنسَبُ الى اشعْيا النبيّ عليهِ السلم . لِترْتاح البوادي وقُراها ولْتَصِرْ ارضُ قيذارَ مُروجاً ولْيُسبّحْ سكّانُ الكهوفِ ويهْتِفوا من قُلَلِ الجبالِ بحمْدِ الربِّ ويُذيعوا تسابيحَه في الجزائرِ لانَّ الربَّ يجيءُ كالجبّارِ وكالرجلِ

المِحْرَب (١) المُتَلظّي للتكبُّر فهو يَزجرُ ويتجبَّرُ ويقتل أعداءه . فلِمَن البوادي يا بني عَمّي يَهْدِيكُمُ اللهُ الاّ لهذه الامة او مَن قيذار الاّ وُلْدُ اسمعيل عليه السلم وهم سكّانُ الكهوفِ الذين يَحْمدون الربَّ ويُذِيعون تسابيحَه في الهواجِرِ والأسحار ومَن ذا الذي زَجَرَ وتَجبَّرَ وقتل أعداءَه غيرُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأُمته . فأما معنى قولِه ان الربَّ يَجيء فقد بيّنّا آنفاً انهُ اسمٌ واقعٌ على الساداتِ والعُظَماء

نبُوّاتُ إِشعَيا عَلَى النَّبيّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ في الفَصلِ الثّاني مِنْ كِتابه إِنَّ الرّبَّ يَتعَزّزُ وَيَتعَالَى يَوْمَئذٍ وَحْدَهُ عَلَى جَميعِ صَنَوْبَرِ لبْنَانَ المُسْتَطيْلَةِ الشّامِخَةِ وَعَلَى جَميعِ شَجَرِ البَلّوطِ التِي بِأَرْض بَيْسَانَ وَعَلَى جَمِيعِ الجِبَالِ الرّوَاسِي وَعَلَى كُلّ قلّةٍ مُنيفَةٍ وَعَلَى كُلّ قَصْرٍ رَفِيعٍ وَعَلَى كُلّ جَبَلٍ مَنِيعٍ وَعَلَى جَميعِ سُفُنِ تَارْسِيسَ وَعَلَى كُلّ مَنْظَرَةٍ رَائعَةٍ بَهِيَّةٍ وَيُبِيدُ الأَوْثَانَ بَيْدُودَةً ظَاهِرَةً ويُغَيّبُ فِي صدُوْعِ الصُّخُورِ وأَنْفَاقِ التّراب مِنْ قُدّامِ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَى ومِنْ بَهَاءِ حَمْدِهِ . فَوَافَقَ إِشعْيَا دَاوودَ النَّبيَّ عَلَيْهِمَا السّلَمَ فِي قوْلِهِ إِنَّ بَهَاءَكَ وَحَمْدَكَ هُوَ الحَمْدُ الغَالِبُ فَكَأَنَّهُمَا خَرَجَا مِنْ مِشْكَاة واحدَة . فَأَمّا تَأْوِيلُ الجِبَال وَالشَّجَرِ فَإِنّهُمُ الاكابِرُ وَالاصَاغِرُ وَالمُلوكُ . وَمثلُ ذلِكَ كَثيرٌ فِي كُتُبهِمْ

(١) في الاصل المجرب

وَقَالَ فِي ٱلفَصلْ ٱلثَالِثِ عَنِ ٱللهِ تَعَالَى إِنِّي رَافِعٌ آيَةً لِلأُمَمِ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ وَأَصْفِرُ لَهُمْ مِنْ أَقَاصِي ٱلارْضِ صَفِيراً فَيَأْتُونَ سِرَاعاً عِجَالاً لاَ يَمَلُّونَ وَلاَ يَعْثُرُونَ وَلاَ يَنْعَسُونَ وَلاَ يَنَامُونَ وَلاَ يَحُلُّونَ مَنَاطِقَهُمْ وَلاَ يَنْقَطِعُ مَعْقَدُ خِفَافِهِمْ. سِهَامُهُمْ مَسْنُونَةٌ وَقُسِيُّهُمْ مُوتَرَةٌ وَحَوَافِرُ خَيْلِهِمْ كَٱلجَلاَمِيدِ صَلاَبَةً وَعَجَلُهُمْ مُسْرِعَةٌ مِثْلَ ٱلزَّوَابِعِ وَزَئِيرُهُمْ كَزَئِيرِ ٱللُّيُوثِ وَكَشِبْلِ ٱلاسَدِ ٱلَّذِي يَزْأَرُ وَيَنْهَمُ لِلفَرِيسَةِ. فَلاَ يَنْجُو مِنْهُ نَاجٍ وَيَرْهَقُهُمْ يَوْمَئِذٍ مِثْلَ دَوِيِّ ٱلبَحْرِ وَٱصْطِكَاكِهِ. وَيَرْمُونَ بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى ٱلارْضِ فَلاَ يَرَوْنَ إِلاَّ ٱلنَّكَبَاتِ وَٱلظُّلُمَاتِ وَيَنْكَسِفُ ٱلنُّورُ عَنْ عَجَاجِ جُمُوعِهِمْ. فَهٰذَا قَوْلُ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهَاؤُلاءِ بَنُو إِسْمٰعِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَمُ وَأُمَّةُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلَّذِينَ صَفَرَ ٱللهُ لَهُمْ صَفِيراً فَجَاءُوا مِنْ بُلْدَانِهِمْ سِرَاعاً لاَ يَمَلُّونَ وَلاَ يَسْأَمُونَ وَكَانَتْ سِهَامُهُمْ مَسْنُونَةً وَقُسِيُّهُمْ مُوتَرَةً وَحَوَافِرُ خُيُولِهِمْ كَٱلصَّفَا وَٱلجُلْمُودِ وَزَئِيرُهُمْ كَزَئِيرِ ٱللُّيُوثِ وَهُمْ ٱلَّذِينَ ٱفْتَرَسُوا ٱلفَرَائِسَ شَرْقاً وَغَرْباً فَمَا نَجَا مِنْ أَيْدِيهِمْ نَاجٍ وَصَارَتِ ٱلجَبَابِرَةُ عِنْدَهُمْ كَٱلنِّعَاجِ وَثَارَ مِنْ زُحُوفِهِمْ ٱلعَجَاجُ وَضَاقَتْ بِهِمْ ٱلمَنَاهِجُ وَٱلفِجَاجُ

وَقَالَ فِي ٱلفَصلْ ٱلخَامِسِ مُفَسِّراً لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ نُبُوَّاتِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَمُ إِنَّ ٱلامَّةَ ٱلَّتِي كَانَتْ فِي ٱلظُّلُمَاتِ رَأَتْ نُوراً بَاهِراً وَٱلَّذِينَ

كَانوا فِي ٱلدُّجى وَتحتَ ظلال ٱلموت سَطعَ عليهم الضوء . أكثرت من التبع والاحزاب ولم تستكثر الاغتباط بهم . فأما ذ فإنهم فرحوا بين يديك كمن يفرح يوم الحصاد وكالذين يفرحون عند اقتسام الغنائم لانك فككت النير الذي كان أذلهم والعصا التي كانت على أكتافهم وكسرت القضيب الذي كان يستعبد بهم مثل كسرك من كسرت في يوم مدين . وذلك شبيه بما وصف الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن وقال إنه يضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم . فانظروا يهديكم الله وتبينوا من ذا الذي فك النير عن ولد إبرهيم وأبطل سلطان الاعداء وبتر قضيب الاعزة وهل أشرق ذلك الضوء إلا على أهل تلك البادية الظلماء من عباد الاوثان من ولد إسمعيل

وقال في هذا الفصل إنه ولد لنا مولود ووهب لنا ابن سلطانه على كتفه . ومعنى قوله هذا إن نبوته على كتفه . فهذا في كتب السريانية التي فسرها مارقوس فأما في العبرانية فإنه يقول إن على كتفه علامة النبوة وهي التي يسميها أهل الإسلام خاتم النبوة . فهذا تصريح بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وإشارة إلى صورته وشامته

وقال في الفصل العاشر كاشفاً لما اشتبه ومبيناً لما اغتص من نبوّاته هكذا يقول الرب إنك ستأتي من جهة التيمن من بلد بعيد

ومن أَرض البَاديَة مسرعاً مقدّاً مثل الزّوابع والزّعازع من الرّياح . ولَقَد رأَينا مَنْظَراً رائعاً هائلاً ظَالماً يظلم ومنتهباً يَنهب فأصعدي (١) يا جبَال عيلَم وجبَال المَاهين فقَد بطل جميع ما كنت تنافسين وتنَاقشين عَلَيه ومن أجل ذلك اعترتْ ظَهري الرّعْدة ودير بي كَمَا يُدَارُ بالمَرْأةِ النّفسَاء ولَقَدْ ذعرْتُ حتّى ما أَسْمَعُ وذهِلتُ حتّى ما أَرَى وهَامَ قَلْبي وأَذْهلَتْني السَّمَادِرُ وصارَ ما كُنتُ أُحبّهُ مُؤْنِساً أَنيفاً وحْشَةً عِندي وَشيْئاً هائِلاً . فانصبُوا يا هاؤلاء المَوائِدَ وارفَعُوا عيُونَكُمْ أيتُهَا الرّبَايَا و الجَوَاسِيسُ وكلُوا واشرَبُوا ولْتَقم السَّادةُ والقَادَةُ إلَى أَتْرِستِهِمْ فليَدهنُوها دُهناً لأَنّ الرَّبَّ قَالَ لِي هكَذَا امضِ فأَقِم الرَّبِيئَةَ علَى المَنْظرَةِ ليُخْبِرَ بِمَا يَرَى . فكَانَ الّذِي رأَى رَاكِبَيْنِ احدُهُمَا رَاكِبُ حِمَارٍ وَالآخَرُ رَاكِبُ جَمَلٍ وَسَمِعَ مقَالاً كَثِيراً جمّاً وَأَسَرَّ صاحِبُ المَنْظَرَةِ إِليّ وَقالَ لِي فِي أُذُنِي إنّي أَنَا الرّبُّ القيّومُ وَأنَا بالمَرْصادِ وَالمَنظَرِ الاعلَى ليلاً ونهاراً . فبيْنَمَا أنَا كَذلِكَ إِذْ أَقبلَ أَحَدُ الرّاكبَيْنِ وَهُوَ يَقُولُ هوَتْ هوَتْ بَابلُ وتكَسّرَ جَمِيعُ آلهَتِهَا المَنجُورَةِ علَى الارْضِ . فهَذَا الّذي سَمِعْتُ مِنَ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرائيلَ العَزِيزِ قَدْ أنبأْتُكُمْ . فَهَذِهِ أيضاً نُبُوّةٌ مفصَحَةٌ مُصَرّحَةٌ لاَ يَدفَعُهَا

---

(١) في الاصل فاصفري

إِلاّ مَنْ غَشَّ نَفْسَهُ وَنبذَ رُشْدَهُ . فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لِقَائِلٍ عَاقِلٍ أن يَتَجَاسَرَ وَيَتَجَاهَلَ فَيَقُولَ إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا رَاكِبُ حِمَارٍ أَوْلَى بِهٰذه النُّبُوَّة منَ المَسيح عَلَيهِ السلَامُ فَكَذٰلكَ لَيْسَ لذي وَرَعٍ أَوْ لبٍّ أَنْ يَقُولَ إِنهُ قَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا رَاكِبُ جَمَلٍ أَوْلَى بِهٰذه النُّبُوَّة منَ النبيِّ صَلَّى اللّهُ عليْه وَسَلم وَمنْ أُمته . أو مَا يَسْتَحي أَهْلُ الفَهْمِ وَالعلْم منْ أَهْلِ الكتَاب أَنْ يَجْعَلوا مثْلَ هٰذه النُّبُوَّة الوَاضحَة الجَليلَة لقَوْمٍ أَجْلَاف جفَاةٍ

وَلَقَدْ شَرَحَ إِشَعْيَا النبيّ ذٰلكَ وَلَمْ يَدَعْهُمْ فِي عَمى وَفَتَحَ منْهُمْ الآذَانَ الصَّمَّاءَ فَقَالَ إِنَّ هٰكَذَا يَقولُ الرَّبّ إِنكَ ستَأتي من جهَةِ التَّيْمَن . ثمَّ فَسَّر ذٰلك فقَال منْ بَلَدٍ بعيدٍ ومنْ أرْض البَادية لئلا يدع لمحْتجٍّ حُجةً . ثمَّ زاد إِلَى ذٰلك فقَال هوتْ هوت آلهَة بَابل وتَكَسَّرت ولَم يزَل في إِقليم بَابل مـلوكٌ يعبُدُونَ الاوثَانَ مرَّةً ثمَّ النيرانَ أُخرَةً حتى ظَهر النبيّ صَلى اللّهُ عَلَيهِ وسَلم فَاصطَلَمَ عزهُم وهدم بيُوت أُوثَانهم ونيرانهم وأَدخلهُم في الدِّين طوعاً وكرهاً . أولم يستَحيُوا أن يقُولوا إِن الانْبياءَ المهديين من آل إِسحٰق عليهم السلَامُ تنبأُوا على مـلوك بَابل وماهين (١) وفارس والخوز وأَضربُوا عن ذكر مثْل هٰذا النبيِّ الجليل والامة الإِبرٰهيمية العظيمـة والدّولةِ المنْصُورة وإِن الله

---

(١) بمعنى مادي

سترها عنهم أو كرهها منهم . فأمّا قوله رأيت ظالماً يظلم يعني بهِ فارس والخوز والنبط الذين ذكرهم وقال لهم ارجعوا خائبين وتنحّوا مدحورين مسلوبين إلى بلدانكم . وقال في هذا الفصل إنكم ستبيتون مساءً في النيضة التي على طريق دورنيم . فتلقوا العطاش بالماء يا سكان التيمن واستقبلوا بالاطعمة القوم المبدّدين المفرّقين لان السيف بدّدهم ومن خوف الشفار المشحوذة والقسيّ الموترة والحرب العوان المستعرة كان تشرّدهم . فمن هاولاء العطاش الذين أقبلوا من جهة التيمن الذين أمر الله عز وجلّ أهل بلدانهم بتلقيهم أو من هاولاء الذين أجلتهم الحروب أو شرّدت بهم ومن الذين أمر الله باستقبالهم بالمياه والمطاعم غير العرب عند نهوضها لمحاربة الامم المحيطة بهم الحائلة بينهم وبين المرعى والماء من الفرس والرّوم وغيرهم

وقال في الفصل الحادي عشر إنا سمعنا من أطراف الارض مزموراً وترتيلاً للبرّ والخير وهو يقول إن لي سرًّا إن لي سرًّا ويقول يا ويحي فجر الفجّار فجوراً فهأنذا محدقٌ بكم يا سكان الارض الرّعب والمهواة والفخّ . فمن نجا من الحرب وقع في المهواة ومن صعد من المهواة اشتمل عليهِ الفخّ لانّ أبواب السماء تفتحت وتزعزعت أساسات الارض وارتاعت . فهذا في تفسير مارقوس فأمّا في العبرانيّ الذي هو الاصل فانهُ يقول إنا سمعنا من أطراف الارض صوت محمّد . ومكّة هي في أطراف الارض وعلى ساحل البحر . فليعلمونا متى وفي أيّ

دهر نزل بأهل الإشراك والكفر من الروعات والنقم والنكبات مثل ما عمّهم ونزل بهم في هذه الدولة

وقال في الفصل السادس عشر مفسّراً لما تقدّم في النبوات ومبكتاً لاهل الحلك والغوايات لتفرح أهل البادية العطشى ولتبتهج البراري والفلوات ولتخرج نوراً كنور الشسلبذ ولتستر وتزه مثل الوعل لانها ستعطى بأحمد محاسن لبنان وكمثل حسن الدساكر والرياض. وسيرون جلال الله عزّ وجلّ وبهاء إلهنا. أما ترون يهديكم الله ماذا كشف لكم النبي عليه السلم ونطق به الوحي من ذكر البوادى والقفار وما بشّرها الله تعالى به من الجدة والنضرة والكرامات المعدة لها بأحمد عليه السلم. فهل يختلج شك بعد التسمية ووصف البادية المعطشة

وقال في الفصل التاسع عشر فزاد إبانةً وإيضاحاً هتف هاتف في البدو وقال خلوا الطريق للربّ وسهلوا لإلهنا السبيل في القفر فستمتلىء الاودية كلها مياهاً وتفيض فيضاً وتنخفض الجبال والروابي انخفاضاً وتصير الآكام دكداكاً والارض الوعرة مذللةً ملسا وتظهر كرامة الربّ ويراه كلّ أحدٍ من أجل أن الرب يقول ذلك. فهل تعرفون يهديكم الله أمةً دعاها الله من البدو والقفار وسهل لها لوعورة وأخصب الجناب وأمرع الجدوب وأترع لعطاشهم الاودية إتراعاً وأذل لها الجبابرة والاملاك الذين شبههم بالروابي والجبال إلا هذه الامة التي صارت دجلة بين أيديهم كالشراك المذلل فإنهم لما انتهوا إليها قالوا

بأجمعهم إن الذى حفظنا في البر هو الذى يحفظنا في البحر ثم خاضوها خوضاً ووراءها كسرى ومرازبتهُ وأجناده فلم يحفلوا بهِ ولا نكلوا عنهُ وهم عراةٌ حفاةٌ إنما يوقون رؤوسهم بالانساع

وقال في هذا الفصل إن الرب الإله سيظهر بالعزّ وذراعهُ بالحَول والقوة أجره معهُ وعمله أمامهُ كالراعي الذى يرعى قطيعهُ ويجمع غنمهُ بذراعهِ ويحملهم في حجره ويغذو الرواضع منهم بنفسه . وقد بينا في ما مضى وفي كتابي الذى في الرد على أصناف النصارى أن اسم الله واسم الرب واقعان على الناس أيضاً ومصداق ذلك في هذه النبوة فقد أخبر أن الرب الإله هو إنسان أجرُه معهُ وعمله أمامهُ . وانما عنى به النبي صلى الله عليه وسلم . فهو الذى كان أجره معهُ وهو الذى عجل للمجاهدين في سبيل الله نوافله وفضله بالعز والغلبة اللذين كانا معهُ . وقوله انهُ كالراعي الذي يَرْعَى قَطيعَهُ فإِنَّهُ شَبَّهَ ذٰلِكَ بِرَأْفَةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَحَنُّنِهِ عَلَى أَهْلِ دِينِهِ فَانَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنَدْتُمْ (١) حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ لموسَى عَلَيْهِ السلَمُ إِنّي جَاعِلُكَ إِلَٰهاً لِفِرْعَوْنَ وَقَالَ فِي التَوْرَاةِ انَّ أَبْنَاءَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ نَظَرُوا الَى بَنَاتِ النَّاس وَرَأَوْهُنَّ

---

(١) كذا في الاصل والمشهور عنتم

رُوقةً حِسَانًا فاتخذُوهنَّ . وَقَالَ دَاُوودُ النّبيُّ صلّى اللهُ عليهِ وَسلّمَ قَالَ الرّبُّ لرَبِّي . في هذا تبْيانٌ أَنَّ اسْمَي الالٰهِ وَالرّبِّ كانا يقعان على الانْسان .

وَقالَ اشعَيا عليْهِ السّلمُ في هذا الفصلْ مَنْ ذا الّذي نبّهَ البرَّ منَ المشْرق وَدَعاهُ الى مَوْطىءِ قدَمهِ ليُسلِمَ اليْهِ الامَمَ ويُذْهلَ مِنهُ المُلوكَ وَيجعلَ سيُوفهُ في عَدَدِ الثرى والبَرَى وقسيهُ في عَدَدِ الحزَمِ المنثورَةِ فهُوَ يغلبُهُمْ وَيَضْربُ وُجُوهَهُمْ ثمَّ يحدِثُ سِلماً وَلا يَطأُ برجلِهِ سفراً . وَهذا شَبيهٌ بما قالَ اللهُ عزَّ وَجلَّ في القرآن . فأمّا قوْلهُ مَن ذا الّذي نَبّهَ البرَّ من المشْرق فانّ أرْض الحجاز والعراق وما والاها عنْدأهل الشّام مشْرقٌ والشّام عنْد أهل برْقة وأفريقية مشْرقٌ وأرْض اليمن والحجاز عند الحكماء من التيمُّن . والمدْعوُّ الى موْطىءِ قدم خليل الله هُو النّبيُّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم واليه أسلم اللهُ الامم وبه وبَّخ الملوكَ فذهلوا وهُو الذي لا تعدُّ رُماتهُ وسيّافوهُ وبهِ ضرب اللهُ وُجُوهَ الامم وخذلهُمْ وأذلهُمْ ثمَّ أعقبهُمُ الايمان والاسلام والسلم كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ على لسان اشعْيا النبيِّ عليه السلمُ

وقال في الفصل العشرين يا آل ابرٰهيم خليلي الذي قوَّيتك . دعوتك من أقاصي الارض ومن نجُودها وعواليها . ناديتك وقلتُ لك انك عبدي وأنا اجتبيتك ولم أستر ذلك . فلا تخف لاني معك ولا ترهب

فها أنا آلهك . أيدتك ثمّ أعنتك وبيميني العزيزة البرّة مهّدتُ لك ولذلك يبهتُ ويخزى المستطيلون عليك ويضمحلُّ ويتلاشى الذين يمارونك ويشاقونك ويبيدُ القومُ المنازعُون لك . تطلبُهم فلا تحُسّ منهم أثراً لانهم يبطلون ويصيرُون كالنسيء المنسيّ أمامك لاني أنا الرّبّ قوّيت يمينك . قلت لك لا تخف فاني أنا عونك ومخلصك هو قدّوس اسرائيل يقول الله الرّبّ أنا جعلتك مثل الجرجر الحديد الذي يدقّ ما يأتي عليه دقّاً ويسحقهُ سحقاً . وكذلك تفعل أنت أيضاً تدوس الجبال وتدقها وتجعل المدائن والتلال هشيماً تذروه العواصف وتلوي به هرج الرّياح . وتبتهج أنت حينئذٍ وترتاح بالرّبّ وتكون محمّداً بقدوس اسرائيل . فهذه نبوةٌ ناطقةٌ وقولٌ فصيحٌ غير أعجم ومعربٌ غير طمطم والمخاطب به من آل ابرهيم وولد اسمعيل المشبهين بالحجر المدق (١) والحديد المسحق (١) الذي يدق الجبال باسم آله محمدٍ الذي سماه وقال انهُ يكون محمداً بالله جل وعز . فقد وضح اليقين وانكشف الغطاء . وان شغب شاغبٌ فأكثر ما يمكنهُ أن يقول ان تفسير اللفظة السريانية هو أن يكون محموداً وليس بمحمدٍ ومن عرف اللغة وفهم نحوها لم يخالفنا في أن معنى محمود ومحمد شيءٌ واحدٌ

وقال في هذا الفصل ان المساكين والضعفاء يستسقون ماءً ولا ماء لهم فقد جفت ألسنتهم من الظماء . وأنا الرب أُجيب حينئذٍ دعوتهم

---

(١) كذا بالاصل

ولن أُهملهم بل أفجر لهم في الجبال الانهار وأجري بين القفار العيون وأحدث في البدو آجاماً وأجري في الارض العطْشى ماءً معيناً وأنبت في القفار البلاقع الصنوبر والآس والزيتون وأغرس في القاع الصفصف السرو البهية ليروها جميعاً ويعلموا ويتدبروا ثم يفهموا معاً أن يد الله فعلت ذلك وقدوس اسرائيل ابتدعهُ . فأين لكم يا بني عمي المحيد عن هذه النبوة الواضحة الناطقة وما عسيتم تقولون فيها وقد سمى البلاد ووصف المعاطش والقفار والبلاقع وما فجر فيها من العيون وأجرى من الانهار وغرس فيها من أنواع الاشجار وسمى العطاش المساكين من أهل البوادي والحجاز وأخبر أن يد الله عز وجل فعلت ذلك . فليس لمن دفع هذه النبوة وأنكرها من دينٍ ولا حياءٍ ولا خلاقٍ . فقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة التي قبلها . فماذا بقي أيُّها الشاكُّون وما العذر المقبول المنجي لمن تصام وتعامى عنها

وقال في الفصل الحادي والعشرين لتسبحني وتحمدني حيوانات البر من بنات آوى حتى النعائم لاني أظهرت الماءَ في البدو وآجريت الانهار في بلد أشيمون لتشرب منها أمتي المصطفاة . فلتشرب منهُ أمتي التي اصطفيتها . فمن كان شاكًّا فيما تقدم من النبوات فلا عذر له ان جهل أو تجاهل أن النعائم لا تكون الا بالبادية . وانما ذكر الثعالب والنعائم مثلاً ضربهُ لسكان البَوادي والفلوات . فمن محك فيه وحاول تلبيسهُ فقد هلك

وقال في الفصل الثاني والعشرين عن الله عز وجل أنا الرب ولا آله غيري أنا الذي لا يخفى عليه خافية أنا أخبر العباد بما لم يكن قبل أن يكون وأكشف لهم الحوادث والغيوب وأتم مشيئتي كلها فأدعو من البدو طائراً ومن البلد البعيد الشاسع . هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي ارتضاه الله لاجتهاده فيما أرضاه (١) وأحبهُ . وان بحوا وتشاغبوا فليعلمونا أين هذا البدو والفلوات التي وصفها الله عر وجل ومن ذا الذي دعاه فعمل برضاته

وقال في الفصل الثالث والعشرين يخاطب الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم اسمعي أيتها الجزائر وتفهمي يا أيتها الأمم . ان الرب أهاب بي من بعيدٍ وذكر اسمي وأنا في الرحم وجعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن وحاطني بظل يمينه وجعلني في كنانته كالسهم المختار وخزنني لسرّه وقال لي إِنك عبدي . فصرفي وعدلي قدام الرب حقاً وأعمالي بين يدي الهي وصرت محمداً عند الرب وبالهي حولي وقوتي . فان أنكر منكرٌ اسم محمدٍ في هذا الباب فليكن محموداً فلن يجد الى غير ذلك من الدعاوي سبيلاً . وهو الذي جعل الله لسانهُ كالسيف وهو العربي المبين الذي خبأه في كنانته لسره وتدبيره الذي قد أظهره . وهو الذي يقول في أمته صباح مساءَ لا حول ولا قوة الا بالله

(١) كذا في الاصل ولعله ارتضاه

وقال في الفصل السادس والعشرين ما يزيد بنبواته المتقدمة انارةً وتأكيداً وتمهيداً وخاطب بها هاجر عليها السلم . سبحي ايتها النزور الرقوب واغتبطي بالحمد ايتها العاقر فقد زاد وُلد الفارغة المَجفيّة على وُلد المَشغُولَة الحَظيةِ . وقالَ لَهَا الرّبُّ أَوْسِعِي مَوَاضعَ خيامِكِ وَمدّي ستُورَ مَضَارِبكِ . لاَ تَنفَسي وَلاَ تَضنى بَلْ طَوِّلِي أَطنَابكِ وَاستوثِقي مِنْ أَوتَادِكِ مِنْ أَجلِ أَنّكِ تَتبسَّطينَ و تنتَشِرينَ في الأَرْض يميناً وَشمالاً وَترِثُ ذُرّيَتُكِ الأُمَمَ وَيَسكُنونَ القرَى المُعطّلَةَ اليَبَابَ . فَلَيْتَ شِعْرِي مَا عَسَاهُمْ يقولونَ فِي هذهِ وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ عزَّ وَجلَّ سَارَة وَهاجرَ جَميعاً عَلَيْهمَا السلمُ وَوَصَفَ عَلَيْهِ السلمُ خيامَ وُلْدِ هاجَرَ . فإلى مَنْ تُضافُ هذه وَبمَنْ تليقُ إلاّ بوُلد هاجرَ وَذريّتها . أَوْ لِمنْ الخيامُ وَالطّنابُ الاّ لوُلْدها . لعلّكُمْ تقولون انهُ عنى بهذا الحبْشان والتُّرك فانهم أَيْضاً أَصْحابُ عمدٍ وخيامٍ . وانَّ منْ تعامى عنْ هذه وما قبلها لعم قليلُ النظر لنفسهِ مُجاهرٌ بمعْصية ربهِ . وما تركهمْ اللهُ عزَّ وجلَّ في شُبْهةٍ بلْ كرّر وأظهر وأبان

وقال أَيْضاً عن الله عزَّ وجلَّ في الفصْل الثامن والعشرين اني أقسمْتُ بنفْسي وأخرجْتُ منْ فمي كلمة الحقّ التي لا خلف لها ولا تبْديل انهُ تخرُّ لي كلُّ رُكبةٍ ويقسمُ بي كلُّ لسانٍ ويقولون معاً ان النعمْة منْ عنْد الرّبّ . فمن هذه الأمة التي تقسم باسم الله ومن ذا الذي يخرُّ على الركب لاسم الفرد الواحد ويحدث بنعم الله صباحاً ومساءً ويفرّدهُ بالدعاء

والابتهال غير هذه الأمة . فأمّا جماعة النصارى فانهم ينسبون النعم والافضال الى المسيح ويقولون في افتتاح الصلوات على المذابح لتمّ علينا نعمُ يسوع المسيح

وتنبأ اشعيا في هذا الفصل بما كشف بهِ أسرار النبوة المتقدّمة وبكت بهِ اهل العمى والسفاهة فلم يترك لمغالطٍ حجةً ولا لمعاند مخرجاً وخاطب ايضاً هاجر فقال أيتها المنغمسة المتغلغلة في الهُموم التي لم تنل حُظوةً ولا سلوًّا اني جاعلٌ حجرك بلوراً ومُوثق أساساتك بالحجر الاسمانجُوني ومزيّنٌ خيطانك بالحجر اللازورد وأبوابك بحجر الباق ومُزخرفٌ حدود بيتك بالأحجار النفيسة ويعرفني هنالك جميعُ وُلدك ولا يُنكروني وأعمُّ أبناءك بالسلم وتكونين مزيَّنةً بالصلاح والبرّ فتنحّي عن الأذى والمكاره لانك آمنةٌ منها (١) فانحرفي عن الانكسار والانخذال فلن يقرباك . ومن انبعث من بين يديّ فاليك يكون وفيك حلوله وتصيرين وزراً وملجاً لقاطنيك وسُكانك . فتدبّروا يهديكم الله هذه فانكم فهمون جدلون وانظروا لأنفسكم فانكم عندهُ مسؤولون هل تعرفون المذللة المتغلغلة في الهموم الا هاجر وهل تقع هذه المخاطبة الا عليها وعلى ولدها . فأيُّ شرف أرفع وأعظم من شهادة الله لهم أنهم جميعاً يعرفونهُ ولا يجهلونهُ وأنهُ صيّر بلدهم وزراً وملجاً للناس أي حرماً وأمناً . وبنيت مكة بالفسيفساء ونفائس الأحجار وحُمل اليها تيجان

(١) في الاصل منه

الملوك . فليسمع مقالي ونصحي من كان ذا أُذنين وليتدبّر هذه الشهادات والمقاييس وليخل بكتابي هذا وبكتاب الرّد على النصارى ويسترشد الله ويعمل لنفسهِ في فكاكها قبل ان يحلّ بهِ هلاكها

وتنبأ في هذا الفصل ونادى وهتف فقال يا معشر العطاش توجهوا الى الماء والورد ومن ليس له فضة فليذهب ويمتار ويستسقي ويأكل من الخمر واللبن بلا فضة ولا ثمن . فهذا من نبوة اشعيا دالة على ما أنعم الله بهِ على ولد هاجر من أمة النبي صلى الله عليهِ وسلم وعلى انهم صائرون الى ما وعدهم الله تعالى بهِ في الآخرة من أنهارٍ من خمرٍ وأنهارٍ من لبن لم يتغير طعمهُ . وأنهار من خمر لذة للشاربين . فانظروا في هذه المشاكلة والموافقة التي بين النبوتين جميعاً

وقال في هذا الفصل اني أقمتك شاهداً للشعوب ومدبراً وسلطاناً للأمم لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم وتأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشدًا من أجل الرب آلهك قدّوس اسرائيل الذي أحمدك فاطلبوا ما عند الرب فاذا عرفتموه فاستجيبوا له واذا قرب منكم فليرجع الخاطئ عن خطيئتهِ والفاجر عن سبيله وليرجع الي لأرحمهُ وليناب الى آلهنا الذي عمت رحمتهُ وفضله . فمن تدبر هذه النبوة وكرر النظر فيها لم يحتج الى غيرها فقد سمى النبي صلى الله عليهِ وسلم باسمه وقال ان الله جعلك محمداً فان آثر المخالف ان يقول ليس بمحمد بل محمود وافقناه فيه لان معناهما

معنى واحدٌ . وقد أتتهُ الأمم هرولةً وشداً وجعله الله مدبراً للأمم وداعياً الى الله كما قال اشعيا وسراجاً منيراً

وقال في الفصل الثامن والعشرين ان الله تعالى نظر ولم ير عدلاً وأنكر ذلك . ورأى انهُ ليس احدٌ يعين على الحق . فعجب الرب منهُ وبعث وليهُ فأنقذه بذراعه ومهد له بفضله فاستلأم العفاف كالدرع ووضع على رأسه سنور الاعانة والفلاح ولبس لباس الخلاص لينتقم من المبغضين له والمعادين . ويجازي أهل الجزائر جزاءهم اجمعين ليتقى اسم الله في مغارب الأرض وليخشع في مشارقها لجلاله . وقد استلأم النبي صلى الله عليه وسلم البر كالدرع ووضع على رأسه سنور الانقاذ والفلح ولبس لباس الخلاص والانتقام من اعداء الله وجازى اهل الجزائر وأظهر اسم الله في مشارق الارض ومغاربها وخضع له أهلها . فأين المحيد عنهُ وكيف المدفع لهذه النبوات التي قد تظاهرت عليه وأين المهرب من الله لمن عانده وتصام عن وحيه ونداءه

وتنبأ في هذا الفصل بما لا يرده الا الخاسرون ولا يجهله الا الأجهلون الأعمون فانهُ ذكر ايضاً هاجر مخاطباً لها ولبلاد ولدها مكة وقال قومي وأزهري مصباحك فقد دنا وقتك وكرامة الله طالعهٌ عليك فقد تخللت الارض الظلام وغطى على الأمم الضباب . فالرب يشرق عليك اشراقاً وتظهر كرامتهُ عليك . وتسير الأمم الى نورك والملوك الى ضوء طلوعك . ارفعي بصرك الى ما حولك وتأملي . فانهم

سيجتمعون كلهم اليك ويحجونك ويأتيك ولدك من بلد بعيد وتتربى بناتك على الأرائك والسرر . ويستروح قلبك من اجل انهُ يميل ايك البحر وتحج اليك عساكر الأمم حتى تعمرك الابل المربلة وتضيق ارضك عن القطرات التي تجتمع اليك . ويساق اليك كباش مدين وكباش أعفا وتأتيك اهل سبا ويحدثون بنعم الله ويتجدونهُ وتسير اليك أغنام قيذار كلها وتخدمك رخالات نباوت ويرفع الى مذبحي ما يرضيني وأُحدث حينئذ لبيت محمدتي حمداً . فهذه ايضاً يهديكم الله نبوةٌ قد ظهرت وآيةٌ قد برت وصدقت وسار الأمم الى نور الدين ومالت الى هذه الأمة ذخائر البحر وحجت الى مكة ارسال الأمم وعمر اهلها الابل والقطرات عما يردها من الرواحل والجمالات . وحج اليها اهل اليمن وأهل سبا . وأشهر من ذلك وألزم لأذان المخالفين قيذار ونباوت هما من ابناء اسمعيل عليه السلم وقد احتوشوها وصاروا سادتها وخدامها . وجدد لبيت محمدته حمداً محمدٌ صلى الله عليه وسلم . فان لم يكن ذلك كذلك فليسموا لنا غير النبي صلى الله عليه وسلم وغير مكة وليعرضوا صفتهُ على هذه الصفات ويقيسوا احواله الى هذه النبوات لينهتك الستر ويبدوَ اليقينُ

وقال في هذا الفصل هكذا يقولُ الربُّ انهُ سيترجَّاني اهلُ الجزائرِ ومَن في سفُن تارسيس كما فَعلوا من قبلْ ويُورِدون عليكِ أَبناءَكِ من بلدٍ بعيد ومعهم فضتُهم وذهبُهم من اجل اسم الربِّ آلهكِ

قدُّوس اسرائيل الذي أَحمدكِ وأَكرمكِ . ويَبْني أَبناءُ الغُرَباءِ سُورَكِ وملوكهم يخدمونكِ وتَنْفتحُ أَبوابُكِ في كل وقتٍ وأَوانٍ من آناءِ الليلِ والنهار فلا تتغلَّقُ . ويدخل اليكِ أَرسالُ الأمم ويُقادُ اليكِ ملوكُهم أَسرَى لانَّ كل امةٍ ومملكةٍ لا تخضع لكِ تتبدَّد [1] سُورُها وتُصطَلَم الشعوبُ بالسيفِ اصطلاماً . وتأْتيكِ الكرامةُ من صنوبرَ لبنانَ البهيِّ ومِن أَهْلِها ليُبخَّرَ بهِ بيتي ويُعظَمَ بهِ موضعُ قدَمي ومُستقرُّ[2] كرامتي . وتأْتيكِ أَبناءُ القوم الذين كانوا يُذلُّونكِ ويقبِّل آثارَ أَقدامِكِ جميعُ مَن كان يُؤْذيكِ ويضطهدُكِ . وأَجعلكِ كرامةً الى الأَبد وغبْطة وفرحاً الى دهرِ الداهرين [3] وسترْضعين أَلبانَ الشعوبِ وستُصيبين من غنائمِ الملوكِ وتتمزَّزين من غاراتِكِ عليهم وتَعلمين حينئذ اني انا الرب مخلِّصكِ . لاني أُعطيكِ بدل النحاسِ ذهباً وبدل الحديدِ فضةً وبدل الخشبِ نحاساً وبدل الحجارةِ حديداً وأَجعل السلامة مُدبِّركِ والصلاح والبِرَّ سلطانكِ ويكون الربُّ نوركِ ومصباحَكِ الى الأَبد . فافهَموا يا بني عمِّي النبوةَ وانظُروا مَن ذا الذي بَنَى الغُرباءُ سورَهُ وخَدمهُ الاعزَّةُ وسيق اليهِ الملوكُ مُصفَّدين مأْسورين ومَن ذا الذي أَبادَ وأَهلكَ بالسَّيف كلَّ مملكةٍ وملَّةٍ لم تخضعْ له . وهل تعلَمون لقدَمِ خليلِ اللهِ مُستَقَرًّا مذكوراً غير مكّة التي

---

(١) في الاصل ستوره (٢) في الاصل يستقر (٣) في الاصل وسترضعي

يَحجُّها خاشعين ويرفلون الى بابها ساجدين ويأتونها من أقاصي الدنيا مُلبِّين

وقال في الفصل الرابع والعشرين يخاطبُ النبيَّ صلى الله عليهِ وسلم ايضاً هكذا يقول الربُّ قدُّوسُ اسرائيل للذي كانت نفسهُ مُسترذَلةً مُهانةً ولِمَن كانت الأممُ تستخِفُّ بهِ وأتْباعَ السلطان يُهينونهُ ستقومُ له الملوكُ اذا رأوه وتسجد له السلاطينُ لان وعْد اللهِ حقٌّ . وهو قدُّوسُ اسرائيل الذي انتخبَكَ واختارَكَ . وهو الذي يقولُ أجبْتُك عند الرِّضَى ولَدَى الشدائدِ أعنتُك واجتبيتُك وجعلْتُك ميثاقاً للشعوبِ ونُوراً للأُممِ لِتطْمَئِنَّ بك الارضُ . وترثُ تواريثَ الخَرَابات (١) وتقولُ للأَسرى اخرُجوا وانفكُّوا وللمُحبَّسين اظهَروا وانطلِقوا . وارعَوا ماشيتَكُم حينئذٍ في الطُّرقاتِ لان مَراعيَكم تكون موجودةً في كلِ جهة وسبيلٍ . لا يجوعون ولا يَعْطَشون ولا تَضربُهم السمائمُ والشموسُ لان رحمانَهم معهم وهو يُوردُهم مشارِع المياهِ وينابيعَها . ويَجْعلُ الجبالَ كلّها طُرقاً وفِجاجاً لهم ويَستغْنون لذلك عن المسالكِ والطّرقاتِ ويتوافى القومُ من بلد شاسعٍ بعيد بعضٌ من جهةِ الجربياء وبعضٌ من البحر وبعضٌ من بحر سنِيم . فسبِّحي ايتها السماءُ واهتزّي ايتها الارضُ فرحاً وابتهِجي ايتها الجبالُ بالحمْدفقد تلاقَى الربّ شعْبَه ورحِم المساكينَ مِن خَلْقِهِ. وهذا إفصاحٌ وليس بجَمْجَمَة وتصريحٌ وليس

(١) في النسخة الخزانات

بدَمْدمة ونبوةٌ واضحةٌ موءَكدةٌ لِما تقدَّم قبلها من النبوة . فلعمري ما وَرثَ الخَرابات (١) ولا فكَّ الأَسرَى من الحبوس والقدّ (٢) ولا رَعَى في الطّرقات بعد الحصارِ والجُهد الذي كانت فيهِ العرَبُ مِن قبلِ كسرى وقيصر ولا صيّرَت الجبالُ طرقاً و فِجاجاً الاّ لهذا النبي وأمتهِ الذي ذكرَها اشعيا النبيّ عليهِ السلم انها كانت مسترْذَلَةً مُهانةً . فأما معنى قوله قدوس اسرائيل فانهُ لما خاطب بني اسرائيل سمى اللهَ بالاسم الذي كان بنو اسرائيل يُسمونهُ بهِ

وقال في هذا الفصل وخاطب في بعْضهِ هاجرَ ومكة أنا رسمْتك على كفي فأَسوارُكِ أمامي في كل وقت . وسيأْتيك وُلدُكِ سراعاً ويخرِج عنك مَن أراد ان يتحيفكَ ويخربَك (٣) . فارفعي بصرَكِ الى ما فوقك وانظري فانهم يأتونك ويجتمعون عن آخرِهم اليك . يقول اللهُ قسَماً باسمهِ اني أنا الحي لتلبسنهُم مثل الحلة ولتتزينين بالأَكاليل مثل العروس . ولَتضيقنَّ عنك قفارُكِ وخراباتك والارضُ التي أَلجأُوكِ اليها وضغَطوكِ فيها من كثرة سكانها والرّاغبين فيها وليهربنَّ منك مَن كان يناويك ويهتضمك . وليقولنَّ لك وُلْدُ عقمك ايتها النزورُ الرّقوبُ انهُ قد ضاقتْ بنا البلادُ فتزحزحُوا وانفرجوا فيها لنتسعَ في فيافيها . وستُحدثين نفسَك حينئذ فتقولين مَن رزقَني هاؤلاء كلهم وها أنا وحيدةٌ فريدةٌ نزُورٌ رَقوبٌ وها أنا مُسيبةٌ والهةٌ مُسترَقةٌ فمَن ربّى

---

(١) في الاصل الخزانات (٢) كذا في الاصل لعله القيد (٣) في الاصل ويحزنك

لي هاؤلاء ومَن تكفلَ لي بهم . فأي تصريح وإبانة وتنوير أبين وأنور من هذا . فقد أقسم اللهُ بنفسه وبرَّ قَسَمهُ ولم يخلفْ وَعْدَه انهُ يُصير الأُمَ لباساً لهم كالحلة وزينةً كالحلْية . فهكذا العربُ وهكذا مكة وما تَلْبس في كل سَنة من فاخر الديباج والتاج وتُحملُ اليها من نَفيس الجواهر والصَّدقات من دار الخلافة وآفاق المَمْلكة . او من صاحبُ القفار والخرابات الذي كان مضغوطاً فيها مضطرًّا اليها غيرُ هذه الأمة البدوية الحجازية . ومن الفريدة الوحيدة الوالهة المسيَّبة المسترقة التي خاطبها اللهُ غير هاجر . فهَلْ من ناظر لنفسه ناصح وهل من مراقب عليها مشفق

وقال في هذا الفصل هكذا يقول الرب ها انا رافعٌ يدي على الأمم وناصبٌ لها آيةً وهي ان الناس يأتونك بأبناءك على أيديهم ويحملون بناتك على اكتافهم . وتكون الملوك ظؤورتك وعقائل نساءهم وشرائفهنَّ مرضعاتك ويخرون على وجوههم سجَّداً لك على الأرض ويلحسون تراب اقدامك وتعْلمين حينئذ اني انا الرب الذي لا يخزى الرَّاجون لي لديَّ . فهذه ايضاً نبوة لم تستْحل ولم تبْطل فلقد اتت الأمم من اقاصي الشَّرق والغرب والسند والهند وآفاق البرْبر والبوادي بنسل هاجر وعترتها الذين توالدوا في بلدانهم الى مكة يزفونهم زفًا ويعبقونهم تعبيقاً . ولقد ارضعتْ ملوكهم وعقائل نساءهم ابناء اسمعيل عليه السلم وبناته وخرت الأمم لهم بمكة على وجوهها

سجَّداً ولحست الجبابرةُ مواقعَ قدم ابرهيم واقدام النبي صلى الله عليهما وسلم تذللاً وتبركاً وتخشعاً

وقال في هذا الفصل من ذا الذي اقبل من ادوم وثيابهُ اشد حمرةَ من البشر واراه بهيّاً في حلاه ولباسه وعزيزاً لكثرة خيله واجناده . اني انا الناطق بالحق والمخلص للأقوام . وانَّ لدينا ليوم الفتنة نكالاً . ولقد اقتربتْ ساعة النجاة وحانتْ سنة تخليصي . لاني نظرتُ فلم اجدْ من يعينني وتعجبت اذ ليس من ينيب الى رأيي . فخلصني عند ذلك ذراعي وثبَّت بالغضب قدمي ودست الأمم برجزي واشقيت حدودهم بغيظي واحتدامي ودفنت عزَّهم تحت الارض . فتدبروا هذه ايضاً ولا تكونوا من الممترين

وتنبأ اشعيا عن الله تعالى في هذا الفصل وتعقَّب تلك النبوة فقال اني جعلت اسمك محمَّداً فانظر من محالّكَ ومَساكنك يا محمَّد يا قدُّوس . لانك انت الربُّ أبونا ومُخلّصُنا . واسمُكَ موجودٌ منذ الأَبد . فهذا شبيهٌ بما تقدَّم من نبوةِ داودَ النبي عليهِ السلم في قولهِ ان اسمَهُ موجود قبل الشمس وبقوله في الزبور ايضاً انّ في جبَلهِ قدوساً ومحمّداً . وهذا هو التسْميَةُ وفيهِ الكفايةُ لِمَن لم تغلبْ عليهِ شقوَتُهُ ولم يمدَّ له في طغْيانه . فأَمَّا معنى قول اشعيا النبي عليهِ السلم انهُ قدُّوسٌ فان القدُّوسَ في اللغةِ السُّريانيّة الرجلُ البَرّ الطاهرُ . وكذلك اسم الربِّ واقعٌ على الساداتِ كما قد بيَّنا . فمَن لم يَقْنَعْ بهذه ولم يَخضعْ لها عاندَ الربَّ صُراحاً

وقد سمّى النبي فيها مرّتين تسمية لم تدعهم في شبهة . فرز غتم منط
فقال ان قولَ اللهِ تعالى يا محمّد ويا قدّوس انما يقع على المساكن اب
ذكرها فانّ الكتابَ السرياني بكذّبه لانهُ لو أراد بدلاث المساكن
لَقالَ قدّوسين ومُحمَّدين ولم يقلْ قدّوساً ومحمّداً

وقال في هذا الفصل اعبُروا اعبُروا البابَ وزِدوا الطريقَ على الامّةِ . سهّلوا السبيلَ وذلّلوها ونحّوا الحجرةَ عن سننها وارفعوا للأمّةِ عَلَماً ومناراً فانّ الربَّ أَسمعَ نداءه مَن في أَقطار الأرض . فقلْ لابنةِ صهيون انهُ قد قربَ مجيءُ مَن يُخلّصك . أَجْره معهُ وعمله قدّامَه . ويُسمّون شعباً طاهراً خلّصهم الربّ . وتسمّين انت ايتها القريَةَ التي أَدال اللهُ لها من أَعداءها ولم يخذلها ربّها . فهاؤلاء ثم الشعبُ الطاهرُ الذي خلّصهم الربّ . وتلك القريَة المدالة من أَعداءها المنتقَم لها هي مكّة وأَهلها . وهذا قائمٌ صحيحٌ في مجاز العرب فانهم يقولون سَلِ القريَةَ وهم يُريدون سلْ أَهلَ القريَةِ

نبوة هوشاع النبي عليهِ السلم على النبي صلى الله عليهِ وسلم

وقال هوشاع قال الربّ انا الربّ الالّه الذي [1] رعيتك في البدوِ وفي ارضٍ خرابٍ قفرٍ غيرِ مأهولٍ ليس بها إنسٌ [2] . فهذه من نبوةِ هوشاعَ شبيهة بما تقدّم من نبوات اشعيا . فلسنا نعرفُ احداً رعاهُ اللهُ في البدوِ وفي ارضٍ قفرٍ غير النبي صلى الله عليهِ وسلم

(١) في الاصل رغبتك (٢) في الاصل انيس

وقال في هذا الفصل مؤكداً لقوله هذا يَصِفُ أُمَّتَه انها امة جليلة عزيزة لم يكن مثلها قط ولا يكون وان النارَ تحرقُ أمامَها وتتوقدُ وخَلْفها الضرائرُ . فهذه الأمة العزيزة التي لم يكن مثلها أمة قط ولا يكون . وهذا النبي الذي ربّاه اللهُ ورعاه في القفرِ اليَبَاب والبَدْوِ الخرابِ . وهذه نبوة موجزة كافية لِمَن وفقَه اللهُ لرشْدِه. فانّ مَن كان اللهُ راعيَهُ ومُعَظمَه والشاهِدَ له بأنْ لم يكن في الدنيا أُمة أعزّ وأعظم منها ولا يكون مثْلها فقد وَجَب على الناس تعظيمهُ والإعترافُ بتقدّمِه وفَضْلِه . ومَن لم يفعلْ ذلك كان مخالفاً للهِ وعلى سبيلِ المَعاصي والضلال . وقد شهد هوشاعُ النبي عليهِ السلم بأن الأمةَ التي لم يكنْ مثلها قط هي هذه الأمة . فليس لذِي مُراقَبةٍ ولبّ ان يَنْسبَ هذه النبوةَ الى يَحْيَي بنِ زكريّاء ولا الى امةٍ غير المسلمين

نبوة ميخا النبي على النبي صلى الله عليهما وسلم

قال انهُ يكون في آخر الأيامِ جَبَلُ بَيْتِ الربّ مبنيًّا على قلال الجبالِ وفي أرفع رؤوس العَوالي وتأتيهِ جميعُ الأمم وتَسيرُ اليهِ أممٌ كثيرة وهم يقولون تعالَوا نَطّلع الى جبل الربّ . فهذه صفة مكة صراحاً . فهي التي يَحجّ اليها الأممُ الكثيرة ويسعَون لها ويسيرون اليها وهم يلبّون .فانْ شغب شاغبٌ فقال انهُ عنَى بيتَ المَقْدس فكيف يصح له ذلك وقد بيّن اللهُ ان يكونَ ذلك في آخرِ الأيّامِ .وكان بَيْتُ المَقدس

في زمان هذا النبي موجوداً. وانما تنبّأَ النبي على شيء يَحْدُثُ لا على ماكان ومضى

نبوة حبقّوق النبي على النبي صلى الله عليهما وسلم

وهي نَظِيمة نبوةِ موسى عليهِ السلم بل أَنورُ وأظهرُ منها لانهُ سمّى النبي عليهِ السلم مرّتَين. قال حبقّوق النبي عليهِ السلم ان اللهَ جاء مِن التَّيْمنِ والقدوس مِن جبَل فاران. لقد انكسفتِ السماء من بَهاء محمدٍ وامتلأتِ الارضُ من حَمْدِه. يكون شُعاعُ مَنظره مثل النُّور ويحوط بلدَه بعزه. تسيرُ المنايا أمامَه وتصْحبُ سباعُ الطير أجنادَه. قام فسَح الارضَ ثم تأملَ الأُممَ وبحثَ عنها. فتَضعضعتِ الجبال القديمة واتضعتِ الرّوابي الدّهرية. وتزَعزعتْ ستور أهل مِدْين ولقد [1] حازَ المسَاعيَ القديمة وغضبَ الرب على الأنهار. فرجزك في الأنهار واحتدام صوْلتك في البحار. رَكبْتَ الخيولَ وعلوت مراكبَ الإنقاذ والغوْث. وستنْزَع في قسيك إغراقاً ونزْعاً. وترْتوي السهام بأمركَ يا محمّد ارتواءً. وتحرَث الارض بالأنهار. ولقد رأتك الجبال فارتاعتْ وانحرفَ عنك شؤبوب السَّيْل [2] ونعرت المهاوي نعيراً ورعباً ورفعتْ أيديَها وجلاً وخوْفاً وتوقفت الشمس والقمر عَن مجراهما وسارَت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك. تدوخ الارض غضباً وتدوس الأمم رجزاً لأنك ظهرْت لخلاص أمّتك

(١) في الاصل جاز (٢) في الاصل السبيل

وإنقاذ تراث آبائك . فهذه النبوة الباهرة الجليلة التي لا شك فيها ولا مرْيةً فقد نطقتْ بالحق وباحت بالمكتوم وكشفت الأغطية وأزالت الشبهات . وسمّى الله النبي صلى الله عليهِ وسلم تسميةً مرّتين وأخبر ان المنايا تسير أمامهُ وتصحب سباع الطير راياتهِ وأنهُ يركب الخيل ويظهر الخلاص وترتوي السهام بأمره من الرماء . وهو الذي وقفت الشمس والقمر عن مجاريهما له وسارت العساكر في بريق سهامهِ ولمعان نيازكه . فان لم يكن هو الذي وصفنا فمن اذاً . لعلهم بنو اسرائيل المأسورون المسبيون او النصارى الخاضعون المستسلمون . وكيف يكون ذلك وقد سمّى فيها النبيّ مرّتين ووَصَف عساكرَه وحُروبَه وأنهُ يَدوسُ الأممَ دوْساً ويُدوّخُهم غضَباً ورجزاً . فدَعُوا يا بني عمّي اللجاجَ والمَحاكَ وتجرّعُوا مَرارات الحقّ وأفيقوا من (١) سكركم وافهَموا عن اللهِ تعالى وعن أنبياءه البرَرَةِ الطيّبين عليهم السلمُ والصلاةُ أجمعين

نبوة صفَنْيا النبي على النبي صلى الله عليهِ وسلم

قال يقول الربُّ ايها الناس ترجّوا اليومَ الذي أقومُ فيهِ للشهادة . فقد حَانَ أنْ أظهِرَ حكْمي بحشْر الأمم كلّها وجميع الملوكِ لاصُبَّ عليهم رجزي وأليمَ سَخَطي . فستَحترقُ الأرضُ كلها احتراقاً بسخطي و نكيري . هنالك أُجدّد للأمم اللغةَ المُختارةَ ليذوقوا اسْمَ (٢) الربّ جميعاً ويَعْبدوه في ربْقةٍ واحدةٍ معاً . ويأْتوني بالذبائح في تلك الأيّام من

(١) في الاصل سكره (٢) بالاصل سم

مَعابر أنْهار كُوش . وهذا صفَنْيا الذي قد نطق بالوحْيِ وأخبرَ عن اللهِ بمثل ما ادَّى أصحابُه . ووصفَ الأُمةَ التي تشْهد ان لا آلهَ الا الله وحده لا شريك له وتجتمعُ على عبادتهِ وتأتيه بالذبائح من سواحل السُّودان ومَعابِر الأنهار . واللغةُ المختارة هي اللسان العَرَبي المبين الذي ليس بطَمْطَمي ولا فارسي ولا سَوْفَسْطي . وهي التي قد شاعتْ في الأُمم فنطقوا بها وتجدَّدوا بما جُدِّد لهم منها . فأمَّا العِبرانيّة فكانت لغَة تلك الانبياء وأمَّا السُّريانية فما تجاوزتْ قط بلَدَ سُوريا . وكذلك الروميّة لم تجاوز الرُّومَ . ولا تجاوَزت الفارسيّة مدينةَ إِيران شَهر . وظهرت العربيّة الى منقَطِعِ التراب وبَوادي الترْك وبلاد الخَزَر والهِنْد

نبوة زكريّاءَ النبي على النبيِ صلى الله عليهما وسلم مؤكّدة لنبوة صفنيا عليهِ السلم

انهُ يكون الربّ الالَهُ يومئذٍ ملِكَ الارض كلّها ويكون يومئذٍ ربًّا واحداً . وقد صدَقتِ النبوة وصحَّ الوحْيُ وصار الدينُ واحداً والربّ واحداً لا تَثْنيةَ فيهِ ولا تثْليث ولا تكثير ولا تعطيل واسمهُ واحدٌ لا تلبيس فيهِ ولا إِشراكَ . وقال زكريّا عليهِ السلم ايضاً يكون في ذلك اليوم حتى على لجام الفَرَس قدْسُ الرب . ومعنى قدسُ الرب هاهنا اسمُ الرب واسمُ نبيهِ عليه السلم . وذلك موجودٌ يَوْمَنَا هذا على كل ملْبَسٍ ومَنْزِلٍ وسلاحٍ وغير ذلك وهو اليومُ الذي وصفَه اللهُ عز وجل

نبوة ارْمياَ النبي على النبي صلى الله عليهما وسلم

وهي شَبيهةٌ بنبوات اشعيا وغيره عليهم السلم خاطبَ اللهُ بها النبي عليه السلم . قال في الفصل الاول من قبل أن أُصَورَكَ في الرَّحم عرفتك ومن قبل أنْ تخْرجَ من البطْن قدَّستك وجعلتك نبيًّا للامم لانك بكل ما آمرُكَ تَصدَعُ والى كل مَن أرْسِلك تتوجَّه. فأنا معك لخَلاصك يقول الرب . وأفرغتُ كلامي في فمك إفراغاً فتأمّلْ وانظرْ فقد سلّطتك اليومَ على الامم والمَمْلكاتِ لِتنْسِفَ وتَهْدمَ وتتبرَ وتَسْحقَ وتَبنيَ وتَغرسَ مَن رأيتَ . فقد شَفّعَ ارميا عليه السلم نبواتِ أصحابه بالتأكيد والتأييد ووصفَ من أجْرى كلمةَ اللهِ على فمه ومَن سلّطَه الله على انتسافِ أممٍ وإبادةِ اممٍ وسحق اممٍ واستحياءِ اممٍ . فاكتفوا بذلك علْماً واتخِذوه برهاناً. يُسلم لكم دِينكم ويَجْعَلُكم من عباده الفائزين . فلن يَجدَ الراغبُ الراهبُ سبيلاً الى أنْ يَنْسبَ هذه النبوةَ الى نصراني ولا يهودي ولا غيرها

وقال في الفصل الرابع اني مُهَيجٌ عليكم يا بني اسرائيل من البُعد أمةً عزيزةً أمةً قديمةً أمةً لا يفهم لسانها وكلّهم مِحْرَبٌ(١) جبّارٌ. فهذه هي الامة العزيزة التي لم تَعرفْ بنو اسرائيل لسانها ولغتَها وكلّهم محربٌ(١) جبّارٌ وهم أصحابُ اللغة الجديدة التي ذكَرها اللهُ على لسان صفَنْيا النبي عليه السلم

(١) في الاصل مجرب

وقال في الفصل التاسع عشر اني جاعل بَعد تلك الايّام شريعتي في أفواههم وأ كتبها على قلوبهم وأكون لهم آلهاً ويكونون لي شعباً . ولا يحتاج الرجلُ ان يُعلّم أخاه وقريبه الدينَ والملّة ولا الى أنْ يقول له اعرف الربَّ لانْ جميعَهم يَعرفونهُ صغارُهم وكبارُهم . وأنا أغفرُ لذلك ذنوبَهم ولا أذكّرُهم بَعْدها بخطاياهم . وقد صدَق وعدُ الله وازدرَعَ حبهُ في قلوب هذه الامة صغارها وكبارها وأنطقَ ألسنتهم بشرائعه وتحاميده وكلٌ عارفٌ بالله مؤمنٌ به فتياتهم وفتيانهم عبيدُهم وأرقاؤهم فلا ترَى زرّاعاً ولا ملّاحاً ولا سائساً ولا كنّاساً ولا صغيراً ولا كبيراً الّا وهو يقرأ شيئاً من القرآن طاهراً ويحسنُ يصلّي صلاتهُ وحْدَه ويُوحد اللهَ ويُكبره تكبيراً . لذلك سمّاهم اللهُ شعبَه وارتضاهم لنفسه . فلن تجبَ هذه المعاني لاحدٍ سواهُم . واللهُ ذو فضْل على العالمين

وقال في الفصل الحادي والثلاثين يقول الرب اني كاسرٌ قوسَ عيلم رأس عزهم وجبروتهم وأغري بعيلم أربعة أرواحٍ من أربع جهات السماء وأبدد اهلها في تلك الجهات كلّها حتى لا يبقى أمةٌ الاّ وفيها نفرٌ من شذاب عيلم وشذارهم وأفض عيلم قدّامَ أعداءهم فضّاً وأفلهم أمامَ مَن يُريد أنفسَهم فلاً وأنزلُ عليهم البلاءَ والرجزَ الاليمَ وأرسلُ عليهم السّيفَ حتى أفنيهُم . وأنصبُ كرسيّ بعيلم وأبيدُ مَن هناك من الملوك والسّلاطين . هذا قولُ الرب . وعيلم هي الاهواز وما والاها وانما ذكرها الانبياء وهم بالشّام لان ملوك فارس لمّا انتقلتْ عن فارس بنتْ

بالاهواز واستوطنها ثم انتقلوا بعد دهر طويل الى السّواد . فذكر النبيُّ عليه السلم عِيلَمَ لان اسمَها جامعٌ للمَملَكةِ كلّها . ولم يَنْزِلْ بها قط مِن الذلِّ الشاملِ والإستئْصالِ ما نزل في هذه الدّولةِ . فإنْ ذكرَ ذاكرٌ الإِسكندرَ وغلبتَه وتُبَّعاً ومَسيرَه فان الذي يحلُّ ذلك عنهُ ويَفْسخُهُ ويُزيل الشكَّ عنهُ قولُ اللهِ تبارَكَ اسمُه اني أَنْصبُ كُرسيَّ بعِيلَم اي في إِقليمِ بابل ولم يكن الاسكندرُ والتبابعةُ منسوبين الى الإِيمان بالله . ولهذه النبوةِ سرٌّ آخَرُ عجيبٌ وذلك ان اللهَ عز وجل ذكر فيها هذه الدّولةَ العَبّاسيّةَ واستيطانَ الخلفاء مِن وُلدِ العبّاس أَرضَ العراق في قوله وأَنصبُ كرسيَّ بعِيلَمَ . فضيلة لهم لا يَجْهلُها الاّ مَضْعوف . فأمّا بنو أُميّة فانما مَسْكنُهم بالشّام . فإنْ سأل سائلٌ عن الكرسي قلنا هو سلطانُ اللهِ ونبوتُه المعمورةُ بأرضِ عِيلم والعراق وغيرهما من الكُورِ والسّواحلِ والجزائرِ والآفاقِ وما فيها مِن المَساجد والرّباطات وما عند أَهلها مِن التكبير والتحميد في كلِّ حينٍ وآنٍ من آناء الليل والنهار . وانما ذكَرَ عِيلم لان الملوكَ حينئذٍ كانوا منسوبين اليها [1] كما نُسِبَ اهلُ هذا الاقليمِ أَيّامَ العجَم الى الفُرس واليوم الى العرَب لغلبة العرَب عليهم . ومِصْداقُ قولي انّ معنى الكرسيِّ السلطانُ قولُ داودَ النبيِّ عليه السلم كرسيُّك يا اللهُ الى [2] ابد الآبدين اي سلطانُكَ وعزُّكَ

(١) في الاصل اليه (٢) في الاصل الابد

وقال ايضاً في الفصل الثاني والثلاثين مخاطباً للنبي صلى الله عليه وسلم أَعدُّوا لي آلاتِ الحرْب فاني أُبدِّد بك الشعوبَ وأُبدِّد بك الخَيْلَ وفرسانَها وأُبدِّد بك المراكبَ وركبانَها وأُبدِّد بك أَبكار الرجال والنساء وأُبدِّد بك الراعيَ وقطيعهَ وأُبدِّد بك الأَكارَ وفدّانَه وأُبدِّد بك الطغاةَ والوُلاةَ وأُجازي بابل وجميع سكّان بلاد الكَلْدانيين (١) بجميع أَوزارهم التي ارتكبوها . هذا قولُ الربّ . وقد أَردفَ الله تلك النبوةَ المتقدّمةَ التي هي نظيرةُ هذه ونظيمتُها بها . فقد أَنزلَ على بلاد الكَلْدانيين(١) واقليم بابل ما أَوعَدَهم وبدّدَ شملَهم وذلّل عزَّهم وأَبطلَ عباداتِهم وانتقمَ منهم أَيَّما انتقامٍ واصطلَمهم ايَّما اصطلامٍ . ويقال ان ملوكَ بابل كانوا ينتسبون دهراً طويلاً الى كَلْوَاذى التي بقُربِ مدينةِ السلام

نبوة حزْقيال النبي على النبي عليهما السلم

قال في الفصل التاسع انَّ أُمَّك مغروسةٌ على الماء بدَمك فهي كالكرْمةِ التي أَخرجتْ ثمارَها وأَغصانها من مياهٍ كثيرةٍ وتفرَّعتْ منها أَغصانٌ كالعِصِي قويّةٌ مُشرِفةٌ على أَغصانِ الأكابرِ والساداتِ وارتفعتْ وبَسقتْ أَفنانهنَّ على غيرهنّ وحسُنتْ أَقدارُهنّ بارتفاعهنّ والتفاف سَعفهنّ (٢) . فلم تلبثْ تلك الكرْمةُ أَنْ قُلِعتْ بالسخطةِ ورُميَ بها على الارض وأَحرقتِ السمائمُ ثمارَها وتفرّق قواها

(١) في الاصل الكذابين (٢) في الاصل سعهن

ويَبِس عِصيٌّ عزّها وأتتْ عليها النارُ فأكلتها . فعند ذلك غرسَ غرسٌ في البدْو وفي الارض المهملةِ المعطّلةِ العطشى . وخرجَتْ من أغصانِه الفاضلةِ نارٌ أكلتْ ثمارَ تلك حتى لم يوجدْ فيها عَصاً قويةٌ بعدها ولا قضيبٌ يَنْهضُ بأمْر السلْطانِ . فمن شك او شغبَ في النبوة المتقدمة فحمته هذه وأقنعته . فقد أنبأنا اللهُ تبارك اسمُه انهُ مستأصلٌ شأفة اليهود ومُبيرٌ خضْراءَهم ومُزيلٌ عزّهم وجَمالهم الذي شبَّهَه بالكرْمةِ وبالعَصاَ وبالقضْبانِ . وأتبعَ ذلك قولاً باهراً بيّناً فأخبر تبارك وتعالى انهُ يَغْرسُ في البادية والارض المهملةِ العَطشى غرْساً جديداً وتخرج أغصانهُ ناراً تحرق تلك الاخرى حتى لا يوجد فيها عصاً قويةٌ او قضيبٌ يَنْهضُ بالسلطان والسياسةِ . وانما يَعْني بالعصا والقضيبِ السلطانَ . وقد بطلَ سلطان اليهودِ وعزُّها من أصْل المعمورةِ وقامتْ عصاً قوية بل عِصيٌّ وقضْبانٌ عزيزةٌ تَنْهضُ بسلطانٍ عزيزٍ وسياسةٍ مؤَيَّدةٍ مُهذّبةٍ وتمّتْ بذلك تلك النبوة

وقال حزْقيال عليه السلم في بناء البيتِ في آخر كتابه انهُ أراه اللهُ بيتاً تولّى ملكٌ من الملائكةِ تخطيطهُ وتحْديدَه . ووصف أركانَه وصُحُونه وأفْنيتَه وأبوابه وأمَره الملكُ ان يحفظ ذلك ويتدبّرَه . لكنهُ لما طاتْ صِفتهُ وَجَدتُ القومَ قد ثبّجوها ولبسوها إمّا تعمُّداً وإمّا تناسياً فأضربتُ عن ذكرها واكتفيتُ بالكثير الشهير من النبوات ومن الشواهد على أنّ صفة ذلك البيتِ الذي خطّه اللهُ وصوّره

بحزقيال النبي عليه السلم هو مكّة لانها خلافُ بيت المقدس الذي بني بعد الرَّجْعةِ من سبي بابلَ . فإنْ أنكرَ ذلك منكرٌ فليوجدْنا صفة ذلك البيت الذي بني ببيت المقدس لنصدقهُ والاّ فليصدق بما أنبأناه به وبيّناه له

فإن دفعَ ما قلنا دافعٌ ومارى مُمارٍ وزعم ان اسمَ النبي الذي أخرجتهُ من هذه النبوات ليس يلحقهُ النداء بالسريانيّة فانّ السريانيّ اذا نادى يُدخلْ نداءَه الياءَ كما تدخله العربُ فقد قال في التوراة انهُ نادى في الفردوس آدمَ فقال أين أنتَ آدمُ . يُريدُ يا آدمُ . وخاطب شمعونُ الصفّا اليهودَ فقال اسمَعوا كلامي رجالَ بني اسرائيل . اي يا رجالَ بني اسرائيل . وقيل في كتاب فراكسيس ان المسيحَ قال لفولسَ شأُول شأول لمَا أقبلتَ قبلي . أرادَ يا شأول يا شأول . ونادى الملاكُ هاجرَ وقال هاجرُ أمة سارة من أين أقبلت يُريدُ يا هاجرُ . وقال اشَعيا زَرعَ ابرهيم خليلي الذي قوّيتك . يُريدُ يا زرعَ . وقال اشَعيا احمَدي العاقرُ التي لم تلد . يُريد ايتها العاقر . وقال ايضاً الزّرعُ العائقْ والوُلدُ المفسدُ رفضتم الربَّ وأسخطتم قدّوسَ اسرائيل يُريد ايها الزرعُ العائقُ وأيها الولدُ المفسد . فهذه شَواهد كلها كافية على ان النداء بالسريانيّة لا يكون في اوّله ياءٌ كما في العربيّة

وأمّا ما يقول الماري المعاند منهم انّ مشبّحاً ليس هو محمد بل ممجد ومسبّح . فإنهُ لا يقال للانسان انك مسبّحٌ او سبحانك وانما يقال ذلك

لله عز وجل وقد قال كما بينت في عدة نبواتٍ يا محمد . ويقال لمن أنكر ذلك وأراد تلبيسه قل بالسريانية الحمد لله . فانه لا يترجمه ويعبره الا بقوله شوبحا لالاها . فاذا كان شوبحا الحمد فشبحا هو محمد . وقال داوود النبي عليه السلم كرسيك الله الى دهر الداهرين . يريد به يا الله . وإن محك وصمم وزعم ان مشبحا هو ممجد وليس بمحمد فليخبرنا مَن هذا الممجد الذي قال الله على لسان حبقوق انه انكسفت السماء من بهاء الممجد والذي تسير المنايا أمامه وتصحب سباع الطير عساكره والذي ارتوت السهام بأمره وسارت العساكر في بريق سهامه ولمعان نيازكه والذى دوخ الامم وظهر لخلاص شعبه وللطلب بتراث آباءه . والذي قال داوود انهُ يصلي عليه في كل وقت ويبارك عليه في كل يومٍ . وهو قول الامم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد . والذي قال فيه اشعيا النبي اني جعلتك شاهداً للامم وسلطاناً ومدبراً للشعوب . وهو قول الامم أشهد ان لا آله الا الله وأن محمداً رسول الله

أو من المجد الذي يقول الله على لسان اشعيا اني جعلت لك اسماً محمداً . فانظر من مساكنك يا قدوس ويا محمد . فإن كان عنى بهِ المجد فمن هذا المجد غير محمد . وفي هذا تنبيهٌ وتصريحٌ وتقويمٌ لِمن أراد اللهُ سعادتهُ وتقويمه

نبوة دانيال النبي على النبي عليهما السلم مؤكدة للتي تقدمت من

نبوات حزقيال وغيره وتحقيق قولنا ان النبي صلى الله عليهِ وسلم هو خاتم الانبياء وان غلبته كانت من عند اللهِ وأنه صاحبُ الدولة المؤيدة التي لا دولة بعدها ولا أمة مثل امته وان جميع ما قدمنا في نبوات الانبياء هو فيه وله لا في غيره

ما نجدهُ في نبوة دانيال النبي عليه السلم في الفصل الاول من كتابه فانه قال لبخت نصر حين سأله عن تعبير رؤيا كان رآها من غير ان يقصها عليه . فقال دانيال بروح القُدس نعم رأيت ايها الملكُ صنماً عظيماً بارع الجمال جداً وهو قائمٌ بين يديك . رأسه من الذهب الإبريز الخالص وساعده من الفضة وبطنه وفخذه من النُّحاس وساقاه حديدٌ وبعض رجليه حديدٌ وبعضها خزف . ورأيت حجراً انقطع من غير قاطع وصك رجلي ذلك الصنم ودقهما دقاً شديداً فتفتت الصنم كله حديده ونحاسه وفضته وذهبه وصارت رفاتاً مثل دقاق الجل في البيادر . وعصفت به الرياح فلم ير لهأثرٌ . وصار ذلك الحجر الذي صك ذلك الصنم جبلاً عالياً امتلأت منه الارض كلها. فهذه رؤياك ايها الملك . وأنتَ الرأس الذي رأيتَه من الذهب.وتقوم بعدك مملكة أخرى دونك . والمملكة الثالثة التي تشبه النحاس تتسلط على الارض كلها . والمملكة الرابعة تكون قويةً مثل الحديد.وكما ان الحَديدَ يَدقّ كلّ شيءٍ كذلك هي تَسْحقُ الكلّ . فأَما الرجلُ التي كان بعضها من حديدٍ وبعضُها مِن خزَف فان بَعْضَ المَملكةِ يكون عزيزاً وبعضها

ذليلاً وتكون كلمةُ المملكةِ متشتتةً . ويقيمُ آلهُ السماء في تلك الأيام مُلْكاً دائماً أبدياً لا يتغيَّرُ ولا يزولُ ولا يذَرُ لغيره من الأمم مُلْكاً ولا سلطاناً بل يدقّ ويُبيدُ الملكاتِ كلَّها ويقوم هو الى دهر الداهرين . فهذا تعبيرُ الحجرِ الذي رأيتَ انه انقطع من جبلٍ بلا قاطع حتى دقَّ الحَديدَ والنُّحاسَ والخَزفَ . فان اللهَ الكبيرَ أعلمَكَ ما يكون في آخرِ الزمان

فهذه نبوة مُبشّرة وإشارة منوّرة لا حاجةَ بها الى عبارةٍ أكثرَ من عبارةِ دانيال النبي عليه السلم . فقد صحَّحَ النبوات كلّها وشهدَ بأنها كلها في محمد عليه السلم لا في غيره . وأخبرَ بأن آخرَ الدُّوَلِ والملوكِ هي الدولة التي يُقيمُها آلهُ السماء وأنها تحتوي على مملكاتِ الارض كلها وتقومُ الى دهرِ الداهرين ولا تَذَرُ لغيرها مُلْكاً ولا سلطاناً الا دقتهُ وهشمتهُ . ولذلك سُمّي محمدُ النبي صلى الله عليهِ وسلم خاتمَ الأنبياء لانه اليه انتهتِ النبواتُ كلها كما ترون وبه تمّتِ البشاراتُ المتقدِّمةُ كما تجدون وتقرأون . فلا يُوجدُ بعدَه نبوّةُ نبي ولا نازلُ وَحْيٍ . فقد أخبرَ انه لا دولةَ ولا سُلطانَ بعد دولتِه وزمانه . فأيُّ مقالٍ يَبقى وضلالٍ يَثْبتُ مع هذه النبوةِ . وما حجةُ مَن جحدَها عند الله . او هل جزاؤه عنده الا العذاب والنار . لان اللهَ أخبرَ ان آلهَ السماء يُقيمُ هذه المَملكةَ الدائمةَ الابديةَ

وقال دانيال عليهِ السلم في الفصل الرابع ما أيّدَ بهِ النبوةَ الاولى

وأكدها . قال رأيتُ في المَنام كان الرّياح الاربع هاجتْ واصطك منها البحرُ العظيم واعتلَجَ اعتلاجاً شديداً . وصعَدَ من البحرِ اربع حيوانات عِظامٍ مُختلفةِ الصُّوَر . اوّلُها مثل الاسد وله أجنحة النسرِ . ورأيت جناحه قد تمرَّط . فانتصبَ قائماً على الارض مثل انسان وجعلَ له قلب انسان . والحيوان الثاني مثل الدبّ وهو قائم ناحيةً وفي فَمِه ثلاثة أضلاعٍ . وسمعْت قائلاً يقول له قمْ فكلِ اللحمَ واستكثرْ منهُ . والحيوان الثالث مثل النمرِ وفي جنبيهِ اربعة أجنحةٍ مثل أجنحةِ الطيرِ . له اربعة رؤوس . وأعطي سلطاناً . ورأيت حيواناً رابعاً عظيماً قويّاً عزيزاً جداً وله أسنان عِظام من حَديدٍ .فهو يأكل ويدق ويدوس برِجليهِ ما بَقِي. ورأيتهُ مُخالِفاً لتلك الحيوانات الاخر. وكانت له عشرة قرون . وكنت أفهم معنى قرونهُ (١) تلك . ولم تَلْبثْ ان نجَمَ قرْن صغيرٌ من بين تلك القرون . فنصلَ وسقطَ من بين يديّ ذلك القرْنِ الصغيرِ ثلثة قرون من مَقاديمها . فأحببْت ان أعرفَ تأويلَ الحيوان الرابع الّذي كان مُخالفاً لهنّ كلهنّ ما هو وما هو تأويل قرونه العشرة وأسنانهِ التي من الحديد ومخالبه وبراثنه التي من النحاس وما تأويل أكلِه ودقه ودَوسه برجله ما بَقي وتعبير القرْن الصغير الذي ارتفعَ منهُ ونصول القرون الثلاثة وسقوطها بين يديه . وما كان لقرنه هذا من العيون . وسمعت هذا القرن يتكلم بفيه كلاماً جهيراً .وكان منجَم ذلك

(١) في لاصل قرونها

القرن الصغير ومَنْبَتهُ وقدره اجلّ من أقدار سائر تلك القرون وكان ينازع القدّيسين الاطهارَ فيقاوِمهم . فقال لي الرب ان تأويلَ الحيوان الرابع مملكة رابعة تكون في الارض وتكون أجل وأفضلَ من جميع الملكات . تَغلب على الارض كلها وتدوسها وتدقها وتأكلها رَغداً . فأما عبارة القرون العشرة فانها تقوم من تلك المَملكة عشرة أملاكٍ ويَقوم من بَعدهم ملك آخر اجل وأعظم من الاولين ويذلل ثلاثة أملاكٍ

وهذه ايضاً مفسرة منورة لا تحتاج الى إفصاحٍ ولا إيضاح أكثر مما فسرَه دانيال عليه السلم . فالحيوان الرابع الذي قال انهُ كان عظيماً رائعاً هائلاً قويًا عزيزاً هو تمثال هذه المملكةِ التي قال الله انها أعظم الملكات وأجلها وأنها تَغلب على الارض كلها وتَدوسها بأقدامها وتأكلها رغداً . وهي آخر الدوَل وهذه ايضاً تَشهد بأن النبي صلى الله عليهِ وسلم آخر الانبياء وخاتِمهم وأن النبوات كلها تمّت به وتناهت عنده ولم تَتجاوزه . وعلى هذا دلت النبوات المتقدّمة واليه [١] ساقت . فسبحانَ مَن قدّر ذلك وأنبأ به العبادَ على ألسنة أنبياءه قبلَ كَونه بدهر طويل وأوجَب به الحجةَ وقوّى به البَصائرَ الناقدة [٢] ورفَعَ الاستار المَهرودةَ [٣] . فهذه نبوات الانبياء من بَني اسرائيل . فأما ما تنبأ به المسيح عليه السلم ومَن بعدَه من حَوارييه فاني ذاكره . فقد أشاروا الى زَمَن النبي عليهِ السلم إشارةً وأَوحَوا اليهِ إيحاءً . وقال من فسّر كُتبَ

(١) في الاصل واليها (٢) كذا في الاصل . (٣) كذا في الاصل .

النصارى انّ الحيوانَ الاوّلَ هو دولةُ اهلِ بابلَ كما قال دانيالُ . والثاني دولةُ اهلِ الماهين (١) . والثالث دولة الفُرس . والرابع اذاً دولةُ العرَب لا شكَّ فيهِ وهي الدولةُ الأَبديّةُ التي قال الله انها لا تَزولُ ولا تَدَعَ لغيرِها دولةً ولا سلطاناً . وهذا تحقيقُ قول موسى النبي عليهِ السلم عن اللهِ في اسمعيلَ عليهِ السلم اني باركْتُ عليهِ وعظّمْتُه جداً جداً

فوَجدْتُ في كُتبِ دانيالَ نبوةً ايضاً باهرةً عجيبةً فانهُ يقول طوبى لِمَن أَمّلَ ان يُدرِكَ الايّامَ الالفَ والثلْمائةَ والخمسةَ وثلاثين . فأَعملْتُ فيهِ الفكر فوجدتهُ يُوحِي الى هذا الدِّين وهذه الدولة العبّاسيّةِ خاصّةً . وذلك انهُ لا يَخْلو دانيالُ من أَنْ يكونَ أَرادَ بهذا العَدَدِ الأَيامَ والشهورَ والسِّنينِ او سرًّا من أَسرارِ النبوةِ يُخْرِجه الحسابُ . فانْ قال قائلٌ انهُ اراد بهِ الأَيّامَ فانهُ لم يَحْدثْ لبني اسرائيل ولا في العالَمِ بعْدَ أَربع سِنينَ فرَحٌ ولا حادثةٌ سارّة . ولا بَعْدَ الفٍ وثلْمائةٍ وخمسِ وثلاثين شهْراً فان ذلك مائة وإِحدى عشرةَ سنةً واشهُر

فان قالوا عنَى بهِ السِّنين فانما يَنتهي ذلك الى هذه الدولةِ لان زمَنَ دانيالَ الى المسيح نحْو من خمس مائةِ سنةً . ومصداقُ ذلك ما أُوحيَ اليهِ انهُ يأْتي عليهِ وعلى قومهِ سبْعون سابُوعاً في السَّبيِ ثم يرْجعون الى بيت المقدس ويُبْعَثُ المسيحُ ومِن المسيح الى سنَتِنا هذه ثمانمائة وسبع وستُّون سنةً يَنتهي ذلك الى هذه الدولةِ العبّاسية مُنْذُ ثلثون

(١) كذا في الاصل بمعنى « مادي »

سنةً او يزيد شيئاً . فانْ قال قائلٌ انهُ ليس بسنِين ايضاً بل سرٌّ مِن أَسرارِ النبوةِ يُخْرجُه الحسابُ فاني فكرتُ فيه فوجدت عددَ هذه الأَيامِ مُساوياً لِمَا يَجتمِعُ مِن عدد حروف محمد خاتم الانبياء مَهدي ماجد . فانهُ اذا جُمِعَ حروفُ هذه الأَلفاظِ بحساب الجُمل خَرَج منها ما بينا وهي خمسةُ أَسماءٍ . فان قال قائلٌ قد يحتملُ هذا العددُ ان يُخرَجَ لغيرِه بمثل ما أَخرجتُه له فان الذي يَشْهد بصحةِ ما قلتُ ويوجِبُ هذا السرَّ للنبي صلى الله عليه وسلم شهادةُ دانيالَ وغيرِه له بما قد بينْتُ . فَمن أَخرجَه على اسمٍ من الأَسماء عليه مِن شهاداتِ الأَنبياء ما على النبيّ عليه السلم وافقْناه فيه . ولن يُمكِنَه ذلك ابداً . وقد نسبَ قومٌ مِن النصارى هذا العددَ الى المسيح بمثْلِ ما حسبْتُ فعارضتُهم وأَوضحتُ بشهادات الأَنبياء ان النبيَّ عليه السلم أَولى به

نبوة المسيح على النبي صلى الله عليهما وسلم

قال المسيحُ عليه السلم في ذلك ما هو مقيَّدٌ مُخلَّدٌ في كتاب يوحنا التلميذ في الفصل الخامس عشر من انجيله ان الفارقْلِيطَ روح الحقِّ الذي يُرسِلُه أَبي باسْمي يُعَلمكم كلَّ شيء . فالفارقليطُ الذي يُرسِلُه اللهُ بعد المسيح مُصدِّقاً لاسم المسيح عليه السلم هو الذي علمَ الناسَ كلَّ شيء لم يكونوا علِموه من قبلُ . ولم يكنْ في تَلامِذة المسيح الى دَهرْنا هذا أَحدٌ علم الناسَ شيئاً غير الذي كان علمهم المسيحُ . فالفارقليطُ الذي

علم الناسَ ما لم يكونوا يعلمونهُ هو النبي صلى الله عليه وسلم . والقرآنُ هو العلمُ الذي سمّاه المسيحُ كلَّ شيء

وقال يوحنا عنهُ في الفصل السادس عشر ان الفارقليطَ لن يجيئكم ما لم أذهبْ فإذا جاءَ وبخ العالمَ على الخطيئة . ولا يقولُ من تلقاء نفسه شيئاً لكنهُ يسوسكم بالحقّ كله ويخبركم بالحوادثِ والغيوب . وقال يوحنا عنهُ إني سائلٌ أبي ان يُرسلَ إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم الى الأبَد . فأمّا تأويلُ قولِه انهُ يُرسله باسمي فانهُ لما سُمِّي المسيحُ بفارقليط وسُمّي محمدٌ بهذا الاسم لم ينكرْ مِن المسيح قوله انهُ يُرسِله باسمي أي يكون سَمِيَّ فقلَّ ما يوجَدُ ذكْرُ المسيحِ عليه السلم في بابٍ مِن كتب الأنبياء عليهم السلم الا كان ذكْرُ النبيّ صلى الله عليه وسلم متصلاً به يتلوه ويُشفعهُ لانهُ جاءَ بعْدَه

ووجدتُ للفارقليط سرّاً آخر عجيباً وهو أني لما أعملتُ فيه الفكرَ وفليتُ عن معنى قولِ المسيح وجدتُ ما يجتمع مِن حروفِه اذا حسبَه الحاسِبُ بالحساب الجُمل مساوياً لِما يجتمع من حروف محمد بن عبدِ اللهِ النبيّ الهادي . فان قال قائلٌ انهُ ينقصُ عدداً واحداً لان اللفظة انما هي فارقليطا . فان الالِفَ زيادة في أسماء السريانيين على ان الذي يساويه مِن العدَدِ حتى لا يزيد ولا ينقص محمد رسول حَبيب طيّب . فان قال قائل قد يُمكنُ استخراجُ هذا الحساب بغير هذه الاسماء لم يكن ذلك له حتى يحضِرَنا مِن شهادةٍ مَن هو كالمسيح في قولِه ان

القارقليط الذى يرسله روحَ الحقّ الذى يرسله أبي باسمى هو يُعلمكم كلّ شيء ولن يجدَ الى ذلك سبيلاً

وقال يوحنا التلميذ في رسالته في كتاب فراكسيس وهو أخبارُ الحواريّين لا تؤمنوا يا احبّاءى بكلّ روحٍ بل ميّزوا الارواحَ التي من عند الله واعلموا ان كلّ روحٍ يؤمن بأن يسوعَ المسيح قد جاءَ وكان جسدانيًّا فهو من عند الله وكلّ روحٍ لا يؤمن بأن المسيحَ [كان] جسدانيًّا فليس من عند الله . وقد آمَنَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بأن المسيحَ قد جاءَ وأنه جسداني وأنه روح اللهِ وكلمته القاها الى مريم . فروحه اذاً بشهادة يوحنا وغيره روح صادقة برّة من عند الله عز وجل وروح مَن زعم انه غير جسدانيٍ ولا إنسي من عند غير اللهِ

وقال شمعون الصفا رأس الحواريين في كتاب فراكسيس انه قد حان أن يبتدأ الحكم ابتداءً من بيت اللهِ . وتفسير ذلك ان بيت الله الذى ذكرَه الحواريُّ هو مكة وفيها كان ابتداء الحكم الجديد لا من غيرها . فان قال قائل انه عنى به حكم اليهود فقد كان المسيح أخبرَهم انه لا يترَك في بيت المقدس حجر على حجر حتى ينسف ويَبقى على الخراب الى يوم القيامة . فقد وضح ان الحُكم الجديد الذى ذكَره الحواريُّ هو دين الإسلام وحكمهُ وذلك شبيه بقول صفنيا النبى عليه السلم عن الله انه مُجدد للامم لغةً مُختارةً . فكانت [العربية] اللغة الجديدة المختارة للحكم والدين الجديد . وقد قال دانيال النبي عليه السلم

في هذا المعنى ما قد بيناه ولم يكن حينئذٍ بيت منسوب الى الله سوى مكة فيتعلقَ به المخالفُ ويقول ان الحكم ابتدأ منه . وان قال قائل انه أراد به دين المسيحِ فكيف كان يقول لدينٍ وحكمٍ قد كان ابتدأ وظهرَ منذ حينٍ انه قد حان ان يبتدأ فهذا محال من الظن

وقال لوقا الحواريُّ في الفصل الحادى عشر من انجيله ان المسيحَ قال لتلامذته اني قد كنت ارسلتكم وليس معكم كِيس ولا ترمال يعني به المِزود ولا خفٌّ فهل ضرَّكم ونقصكم ذلك شيئاً . قالوا لا . قال أمَّا الآن فليشترِ من لم يكن له كيس كيساً ومن لم يكن له ترمال مزوداً ومن لم يكن له سيف فليبعْ ثيابه وليشتر به لنفسه سيفاً . ولم تزلْ سنن المسيح وفرائضه التي يستنُّ بها ويدْعو اليها هي المسالمة والاستسلام والانسلاب لا غير . فلمَّا أمرَ تلامذته وأعلامَ دينه في آخر أمره ان يبيعوا ثيابَهم ويشتروا السيوف عرف اهل التميز والفهْم انه انما أشار بذلك الى أمرٍ آخر وحدثٍ متجدد بالنبى صلى الله عليه وسلم وأشار الى سيوفه وسهامه التي وصفها الانبياء قبله . وقد كان شمعون الصفا انتضى السيف وسله من جفنه ليلة مسكت اليهود المسيحَ وضرب بعض الشرط فجذع أُذنه فتناولها المسيح عليه السلم بيده وردَّها الى مركبها من رأسه فعادتْ [صحيحةً] لساعتها كما كانتْ . وقال لشمعون عند ذلك اغمد السيف فان من سلَّ سيفاً قُتِل بالسيفِ . يعني مَن سَلَّه مِن امتِه

وأصحابه ثم أنبأنا بالحال الآخر وأمر تلامذته ببيع ثيابهم وابتياع السيوف . ولا تبتاع السيوف الا لتسل ويضرب بها

وقال فولس وهو المقدم عند النصارى وهو الذي يسمونه رسولا في رسالته الى اهل جالاطيا انه كان لابرهيم ابنان أحدهما من أمة والآخر من حرة وقد كان مولد ابنه الذي من الأمة كمولد سائر البشر. فأما مولد الذي من الحرة فانه ولد بالعدة من الله . فهما مثالان مشبهان بالفرضين والناموسين . فأما هاجر فانها تشبه بجبل سينا الذي في بلاد أرابيا الذي هو نظير أوراشلم هذه . فأما اوراشلم التي في السماء فهي نظير امرأته الحرة . فقد ثبت فولس في قوله هذا معاني جمة اولها ان اسمعيل وهاجر قد كانا استوطنا بلاد العرب وهي التي سماها بلاد أرابيا . والثاني ان جبل سينا الذي بالشام يستطرد ويتصل ببلاد البوادي بقوله ان هاجر تشبه بطور سينا الذي في بلاد أرابيا . وسينا هو الذى ذكرته التوراة في صدر هذه النبوات في قولها ان الرب جاء من سينا وطلع لها من ساعير وظهر من جبل فاران . فشهد فولس هذا بأن الرب الذى قالت التوراة انه جاء من سينا هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى ظهر في بلاد أرابيا . وقد بينا آنفا ان معنى الرب واقع على الأنبياء والسادات . وأين يكون من الإبانة والإيضاح أكثر من تسمية بلاد أرابيا التي عنى بها بلاد العرب لكنها لفظة مستعجمة غير فصيحة فانها جعلت مكان العرب الأرب . والثالث ان

بيتَ المقْدسِ هو نَظيرُ مكة . والرابع ان هذا الناموسَ الثاني والفَريضة الثانيةَ سماوية لا شكَّ فيها . فقد سمَّاها باسم واحدٍ ولم يفرقْ بينهما بمعنى من المعاني . فأمَّا تقديمُه الحرَّة وقوله ان ابنَ الأمَةِ لم يولدْ بالعِدة فذلك منهُ بالعَصبيةِ والمَيْلِ . وفيما استشهدتْ بهِ من قوارعِ التوراةِ على اسمعيلَ ما فيهِ كفاية وبرهان على انهُ ايضاً وُلِدَ ليس بعِدةٍ واحدةٍ بل بعدات كثيرة

فهذه نبوات متظاهرة وأَخبارٌ موَيَّدة مخلَّدة على وَجه الدهر لا يدعيها أَحدٌ من غير المسلمين الا فاز بالسَّهْم الأَخبث وبالكَذب الاعظم . ولن يفعلَ ذلك الا يهوديٌّ دامرٌ او نصرانيٌّ هامر يتَعللان بهِ ويَخدعان أنفسهما وغيرَهما بذكْرِه .فقد بأن للنصارى خاصةً ولليهود عامةً استحكامُ غضبَ اللهِ على بني اسرائيل ولَعنُه ايَّاهم وتبرّؤهُ منهم ومن دِينِهم وإعلامُه ايَّاهم انهُ مُحرِق اصلَهم الذى تفرَّعوا منهُ ومُبير خضْراءَهم وغارس في البادية والارضِ المُعطلةِ العَطْشى غيْرَهم

فما أكْثرَ تعجُّبي في هذا الباب من اليهود فانهم يقولون ذلك تفرُّجاً بهِ وتجمُّلاً بادعاءه ويَمتلِئون غروراً وبُطْلاناً . وانما العجَبُ من النصارى وهم يَشهدون على اليهود على ما قلنا صباحَ مَساء بأنْ قد قطعَ اللهُ دابرهم ومَحَى عن جريد الارض أثرَهم وأبادَ رسْمَ ملتِهم . فأمَّا أُمةُ المسيحِ عليهِ السلم فليس لها ان تدَّعيَ تلك النبواتِ التي اختصرْتُ واستشهدْتُ بها على النبي صلى الله عليهِ وسلم من أسْرِ الملوك

واستعباد السّادَاتِ وسَوْقِهم مُقرّنين بالقُيود والاغلال . ومن توارُثِ الاراضي (١) القِفارِ البلاقعِ . وضربِ الرّقاب وإكثار القتل والإثخانِ في الارض وغير ذلك من النّعوت التي لا تليقُ ولا تجبُ الا لإسمعيل وهاجرَ وعِترَته ولمكة وحُجّاجها. ولقد صَرّحَ عدّة منهم باسم النبي صلى الله عليهِ وسلم ووصفُوه ايضاً . وسيّافيه ورُماته . وسَير المنايا وسباعِ الطيرِ أمامَ عَساكرِه . وازدحام الإبلِ والقُطْرات في بلاده . واصطلامه الامم والملوكَ المُخالفين له. فهذه كلها مُحققة لدينه ومُفخمة لشأنه ومُصدّقة لما ادّتْ دُعاتُه عنهُ . لا سيما وقد ختم دانيالُ تلك النبوات كلها بما نفى به الشكّ وأخبرَ ان الهَ السماء يقيمُ ملكاً دائماً لا يتبدّل ولا يزولُ. ومن لم يخْضعْ لِمن اختارَهُ اللهُ وأقامَهُ فهوالمرذولُ الذليلُ

في الردّ على من ذكر ان المهاجرين والانصار دخلوا في الدّين من غير آية

فانْ قال قائل مثل الذى كان يَحتجُّ به عمّي لي كان مشهوراً بالجدَل والبَراعةِ معروفاً في أفقِ العراقِ وخراسانَ بأبي زكار يحي بن النعمان قال في كتابِ الفهُ في الردّ على أهل الاديان انهُ بحثَ عن الاسباب التي دخلَ فيها عدّة من المهاجرين والسابقين الاولين ومن دخلَ معهم في الإسلام من الرّجال والنساء فلم يجدْ احداً دخلَ فيه لآية رآها وعلامة أتى بها . فكانت هذه عندى حجةً قويةً جداً ما زلتُ مغترّاً

(١) في الاصل الارض

بها عَميًّا عنها حتى اذا انسلختُ من دينه رأيتُ الجواب عنها سَهلاً والمخرَج فسيحاً. اذا عارضناهم بمثلها وجبَتْ لنا الحجة التي إن أبطلوها بَطلتْ نبواتٌ عدّة من أنبياءهم. فليس دُخول جماعة في دين نبيّ من الانبياء من غير آية رأوها مما يُبطلُ سائر آيات ذلك النبي ولا امتناعُ النبي من إظهار آية في وقت من الاوقات مما يُوجب تكذيبه

فهذا حزقيالُ النبي عليه السلم يقول في الفصل العاشر انهُ أتتهُ جماعة من بني اسرائيل يُريدون امتحانه ويسألونه عن اشياء فكان جواب حزقيال أن قال ان الله أعلمَني وأمرني ان أعلمكم ان رب الارباب يقول اني أُقْسِمُ قسماً باسمي اني أنَا الحيُّ واني لا احير جواباً عمَّا تريدون . فأمَّا المسيحُ عليهِ السلم فقد تبعَه وآمَن بهِ جماعةٌ كثيرةٌ من غيرِ ان يُظهِرَ لهم آيةً . فمِن ذلك قولُ متّى الحواريّ في الفصل الرابع من انجيله انهُ بَيْنا المسيحُ عليهِ السلم يسيرُ في ساحلِ بحْر الجَليل رأَى أَخوَين أَحدُهما شمعون الذي لقّبهُ الصفّا الذي استَرْعاه أمْرَ أُمّتِه وجعله اساسَ ملّته وأخاه أندرأوس وهما يَصيدان السمكَ في البحْر فقال لهما وأومأ اليهما اتبَعَاني أجعلْكما بعد يومكما هذا تصيدان الناسَ وأنهما رفضا من فورهما شبأكَهما واتّبعاه

وقال متّى في هذا الفصل ان المسيحَ لمّا جاوَز ما هناك رأى أخوين آخرَين يقال لاحدهما يعقوب بن زبدي ويوحنّا وهما يصيدان مع أبيهما وأنهُ دعاهما الى دِينهِ فترَكا أباهما في السّفينةِ واتّبعاه وقال متّى

في هذا الفصل انهُ لمّا جاوز المسيحُ ما هنالك رأى رجلاً عشّاراً يقال له مَتّى فقال له اتبَعْني فتوجه معهُ يَعْني بهِ نفسَه وهو متى الحواريُّ أحدُ الاربعةِ الذين كتبوا الإنجيلَ . فهاولاء خمسةٌ من رُوساء الحَواريّين الاوّلين المتقدّمين وهم من الاثني عشر حواريًّا قد ذكر الإنجيلُ انهم تَبعوا المسيحَ من غير أن يُريَهم آيةً ويُسمِعَهم كلمةً مقنِعةً ما خلا الدّعاء الخالي فقط . فلَيتَ شعري ما الذى ضرَّ المسيح من ذلك أوْ ما أنكرَ عمّي ابو زكار ومَن قال بقوله من اتباع من اتبع النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلم من غير ان يرَوا منهُ آيةً . فانْ كان ما ذكرْنا يوجب إبطالَ سائر آياتِ المسيح عليهِ السلم فكذلك يجبُ إبطالُ آياتِ النبي صلى الله عليهِ وسلم لدُخول من دخَل في دِينهِ من غير آيةٍ رآها منهُ

ولقد أتى المسيح عليهِ السلم قومٌ يسألونهُ آيةً فليس انهُ لم يُظهرْها لهم لكنهُ قذفَهم قذفًا وافترى عليهم وعلى قَبائِلهم افتراءً . يشهَد بذلك متى صاحبُ الإنجيل في الفصل الثاني عشر ويُخبرُ ان نَفراً من اليهود أتوا المسيحَ يسألونهُ آيةً فقال مُجيباً ان القَبيلةَ الخَبيثةَ الفاجرةَ تَطلبُ آيةً ولن تُعطَى آيةَ ما خلا آية يُونا النبي . فأخبرَهم بأنهُ لا يُظهر لهم آيةً البتةَ لانهم من القبيلةِ الخَبيثة يَعني بها اليهودَ قاطبةً . فأمّا آيةُ يونا الذى ذكرها فهي لَبثُه في بطن الحُوت ثَلاثاً وليس هذه من نبواتِ المسيح بل هي من آيات يونا ويونا متقدّمٌ له في الزمان بدهرٍ طويل . وانّما

الآيةُ هي ما يُظهِرُه النبيُّ لمن شاهَدَه من الاوابدِ التي لا يقدر ان ياتيَ بمثلها غيرُه . وأنْ يتنبأ على ما غاب عنهُ فيَصحَّ في دهره

فأمَّا قولُ القائل إن آيتي أن موسى فلق البحرَ وأن المسيحَ أحيا مَيتاً فان ذلك غيرُ مقبول منهُ لانه برهانٌ لغيره لا له . ومع هذا فانه لا يُظنُّ بالمسيح التزَيدُ والخُلْفُ ولا انه وعد شيئاً ثم رجع عنه أو قال اني لا أفعلُ أمراً ثم فعلَه . لان قولَه لمن سأله الآيةَ من بني اسرائيل ان ذلك ممَّا لا تجابون اليهِ لا يخْلو من انْ يكون قال عن الله او عن نفسهِ فانْ كان قاله عن الله فقد فعلَ اللهُ اذاً خلافَ ما قال لهم لانه قد أعطاهم بعد هذا القول آياتٍ على يدَي المسيحِ . وانْ كان قاله عن نفسهِ فقد فعلَ المسيحُ اذاً خلافَ ما قال ونقضَ القولَ الاوَّلَ وهذا ممَّا لا يليق بهِ ولا يُظنُّ بمثله. فهذا ايضاً ممَّا أحسبُهُ تحريفاً وفساداً في الإنجيل من قبَل التراجمةِ والكُتاب

وقال متى في الفصل السادس عشر ان اليهود لما رأتْه يدعو الناسَ ويَستميلهم عن اليهوديةِ . اجتمعتْ اليه وقالت له بأيِّ سلطان تَفْعلُ ما نرى ومن جعلَ لك هذا السلطانَ . قال لهم يسوعُ مُجيباً اني سائلكم ايضاً عن مسألةٍ انْ أجبتموني عنها أجبتكم عن مسألتِكم هذه أنْبئوني عن معْمُوديةِ يحَى بن زكرياء من أين هي أمن السماءِ أم من الارض . فتوقف القومُ عن الجواب وقالوا لا نَعلم . فقال المسيحُ وأنا ايضاً لا

أنبئكم بأيِّ سلطان أفعل فلم نره أجاب القومَ عمّا سألوه بل عارضهم بمسألةٍ أخرى فلم يكن لاحدٍ ان يطعنَ عليه به

وقال متى في الفصل السادس ان فيلاطوسَ خليفةَ ملكِ الرُّوم قال له حين رفعته اليهودُ اليه أقسم عليك بحقّ الله لما أعلمتني أأنت المسيح بن الله أمْ لا . فلم يزده المسيح عليه السلم على انْ قال له أنت قلتَ ذلك وليس في قوله هذا إثباتٌ ولا إنكارٌ. فللقائل انْ يقولَ انه أرادَ به الانتفاءَ والسحَ عن نفسه والتبكيتَ لمن حَكى ذلك عنه والا فلمَ لم يقلْ اني ابن الله لما سئلَ عنه . او يظهرْ آيةً ليَظهرَ الامر وخزى اليهود وبهتوا . هذه ايضاً مسألة لم يجب المسيح عنها فلَمْ يزر ذلك بجلالة شأنه وما تقدَّم من آياته

وقيل في الانجيل الذى هو في أيدى النصارى ان اليهودَ كانت تقول انْ كنت ابنَ الله فانزلْ عن الخشَبه لنؤمنَ بك فلمْ يَفعلْ ولم يُظهرْ آيةً . فلا نقول لذلك انهُ لم يكن له قبلها آيةٌ لانهُ كان أعلَمَ بما يُدبّر فيهِ وبما أحبَّ اللهُ من ذلك وقدَّرَه له

وأكثر من هذا ما قال متّى في الاصحاح الثاني انّ الشيطانَ قال للمسيح عند امتحانِ الشيطان اياه ان كنتَ ابنَ الله فقلْ لهذه الصُّخور تصِرْ [1] طعاماً فلم يزِدْه على أنْ قال مكتوبٌ في كُتب التنزيلِ ان حياةَ الناسِ ليستْ بالخبزِ فقط بل بكلّ كلمةٍ تخرج من فَم

---

(١) في الاصل تصير

الله . أَفما تَرَون يَهْديكم اللهُ ان المسيح عليهِ السلم وغيرَه من الانبياء قد سُئِلوا عن مَسائلَ وطُلِبَ منهم آيات فلم يُجيبُوا اليها لأَنَ اللهَ لم يكن أَذنَ لهم فيها ولم يفتح لهم بابها في تلك الاوقات . فقد سأل التلامذة المسيحَ عليه السلم عن الساعة فقال ذاك غَيبٌ مستورٌ عني لا يَعْلمهُ الاّ الله وحدَه فلم يَعبْه ذلك ولم يُزْرِ به . فهكذا النبيُّ صلى الله عليه وسلم

فهذه جَوابات ومُعارَضات مُقْنِعةٌ مُنْصِفةٌ وحُججٌ قاطعةٌ لتلك العلْقةِ والمسألةِ التي تَعلّق بها تَلامِذةُ عمّي أبي زكّار ومَن قال بقوله . على اني لم أَر واحداً من[علماء]النصارى في قَديم الدهر وحَديثِه احتجَّ على المُسلمين بهذه الحجّة غير عمّي. وقد حلّها اللهُ وفسَّرها بمَنّه وكَرَمه وبما استفدتُ واستملَيتُ من حكْمةِ أَمير المؤمنين أَيّده اللهُ ومُعارَضاتِه ومُجاوباتِه. فاستَعْمِلوا يهْديكم اللهُ الفكرَ ولا تُعطّلوا الافهامَ واعلموا انكم مخلوقون لخَطْبٍ جليلٍ وموقوفون على شَفيرِ جنّةٍ او نارٍ فَمَن انهارَ به الباطلُ الى النار فقد هَوى في الخزْيِ السَّرْمَدِ والنّدم الدائم والعذابِ الذي وصفَه المسيحُ عليه السلم فقال انه نارٌ لا تُطفأ ودِيدانٌ لا تَموت . ومَن رجَحَ به الحقُّ الى ساحاتِ الجنّة وعرَفِ الفَراديسِ فقد سَعَدَ وفازَ فَوزاً عظيماً وحازَ الامنَ الدائمَ والغُنْمَ الذي لا عينٌ رأَته ولا أُذنٌ سمعَتْه .فانصحوا أَنفُسَكم ولا تغشُّوها واصدُقوها ولا تغرُّوها . فقد وَضَحَ الحقُّ وبَرِحَ الخَفاء وبانَ اليَقينُ

فان طعن طاعن من اهل الكتاب في فريضة من فرائض الدين وسنة من سنن المسلمين حاف علينا وظلم وعاب الانبياء كلهم وكان بعرض خطيّة وعقاب . فانهم ان عابوا الذبائح فموروثة عن ابرهيم وجميع الانبياء من ولده عليهم السلم . وان ذمّوا الختان فللمسيح ومن قبله . وان انكروا الطلاق [فكتبهم تخبيهم سعياً] (١) . وان طعنوا في الاقسام بالله فهو قوله تعالى لانبياءه . قال اشعيا النبي عليه السلم اني اخرجت القول [الباقي في فمي] (١) انهُ تخر لي كل ركبة ويقسم بي كل لسان . وقل فولس الذي تسميه النصارى رسولاً [ان الله] (١) وعد ابرهيم ما وعده في ولده وأقسم له بنفسه . وقال دانيال ان الملَك الذي تراءى له رفع يده الى السماء وأقسم بالمنعم الدائم ان جميع ما قال كائن لا محالة . وان عابوا الجهاد فقد جاهد ابرهيم الملوك الاربعة الذين كانوا ساروا الى بلاد الجزيرة لتشن الغارات على اهلها فذب عن جيرته وخلطاءه وطحطح عساكرهم بغلمانه وتلاد بيته وفاز بفخر ذلك وفلجه وباقي ذكره ومذخور امره (٢) . فانهُ رد على ملوكها جميع ما انقذ من الغنائم والذراري ولم يرزأهم خرزة ولا قداً بعد ان كانت ملوكها قد جلت وأسلمت البلاد . وقتل يشوع بن نون احداً وثلاثين ملكاً من ملوك الشام ولم يترك في مدينة من مدنها تسمى عاني (٣) دياراً ولا نفاخ نار

(١) الالفاظ بين قوسين نشك في قراءتها (٢) كذا بالاصل (٣) لعلها عاي

من غير ان يدعوهم الى دين او يطالب منهم جزية او اتاوه او يقبل فدية كما يفعل المسلمون

وقال اشموئيل النبي عليه السلم في الفصل الثاني عشر ان داوود النبي عليه السلم غزا بلاداً من بلدان الشام تسمى فلشت فلم يذر فيها رجلاً ولا امرأةً الاّ قتلَهم وساقَ الغنمَ والبقرَ والحُمُر والجمالَ وانتسفَ الأموال والدّخائرَ والأثاثَ من غير أَن يدعوَهم الى دِين او إِعطاء جزيةٍ او دخول في طاعةٍ . وذكرَ كتابُ إِشمْوئيل ان داوودَ جاعَ يوماً فوجَّه عبيدَه الى رجل في طلَب طعام فلم تحملْ اليهِ شيئاً . فسارَ اليهِ في جمعِهِ للإِيقاع بذلك الرجلِ وأَهلِ قريتِه . فإِذا هو بامرأتِه قد استقبلَتْه ومعها طعامٌ وشرابٌ قد حملَتْه اليهِ . وخافتْ زوجَها فيهِ . فقبلَ ذلك منها وطابت نفسُه وسكَنَ غيظُه وانصرف عنهُ . فهذا وما أَشبهُه مِن الانبياء غيرُ منكَرٍ ولا مَطعون فيهِ

فأمّا النبيُّ صلى الله عليهِ وسلم فانهُ أَمَر بالدُّعاء الى الله الفَردِ الدائم القهّارِ بالترْغيب والترْهيب ليكونَ الدينُ واحداً والمعبودُ فرْداً . فمن أَجابَ كان له ما للمُسلمين وعليه ما عليهم ومن لم يجبْ الى ذلك وأَعطى الجزْيةَ عن يدٍ صاغراً حقنَ بها دمَه ووجبَتْ له الذمّة بالطاعة . وكان في ذلك رياضةٌ للكَفَرة لطيفة (١) وتذليلٌ لنَخوتِهم وخيلائِهم وداعية لاهلِ الانَفَةِ والحِميّةِ منهم الى الإِنتقالِ عن لؤم الذلّ والذمّةِ الى

---

(١) في الاصل وتذليلاً

شرَف العزِّ والحرِّيةِ . فانْ أَبَوا ذلك ايضاً كانتِ الحرْبُ من وراءِهم

فقد فعل موسى عليه السلم ما هو أَكثرُ من ذلك فانهُ لمّا أُمِر بالرِّحْلةِ عن مصر وإِخراج بني اسرائيلَ منها أَخبرَهم بأن الله تعالى يامرُهم انْ يَستعيرَ كل امرُؤ منهم كسْوةَ جاره وخليطه وحلي نساءه وبناتِه ويُعْلِموهم بأنهم يُرِيدون عِيداً من أَعيادِهم . ففعَل القومُ ذلك وزيّنوهم بما عندهم وأَعاروهم ميْسورَهم ومَعْسورَهم وبنو اسرائيل حينئذٍ زهاءَ ستمائةِ أَلف مقاتل . فلمَّا اجتمع ذلك عندهم وحصَل في أَيديهم اتخذوا الليلَ جملاً وساروا على بَكْرَةِ أَبِيْهم . وفلَق اللهُ لهم البحْرَ فعَبَرُوه فطلَبَهم فرعونُ نخافوه وغرَّق اللهُ فرعونَ وأَثْلَجَ صدورَهم منهُ . وأَصْبحَ أَصحابُ تلك العواري ونسوانهم وبناتهم (١) وقد صفرت من عواريّهم وأودت بذخائرهم عنقاء مغرب وعضوا على اناملهم ندماً . فما كان ذلك محرماً ولا سحتاً بل نفلاً وغنماً لان الدنيا لله عز وجل وملكها وزخارفها لمن اختصهُ بها من عباده كما قال في كتابه تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء . وكما ان من فعل ما ذكرنا من الانبياء ليس بمأزور ولا متحوب بل على سبيل مغفرة ورضوان فكذلك ما امر الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من مجاهدة المشركين وشن الغارات على الكافرين . فلولا الجهاد لما قام دين ولا امن حريم ولا سد ثغر ولصار المسلمون نفلاً وخولاً لاعداءهم . وقل

(١) نشك في قراءة هذه الكلمة

ما تلبث الناس على ملة هذا حال اهلها حتى ينتقلوا الى ما هو اعز وأوسع منها

ولقد كان المسيح عليه السلم نهى عن الحرب وحذر اسبابها في قوله من سحبك ميلاً فانسحب معهُ ميلين ومن سلبك قميصك فادفع اليه رداءك ايضاً ومن لطم خدك فحول اليه الخد الآخر . فلما كان ذلك من اوامر المسيح لم يبق لامته ديناً ولا دنيا ووهب لامة اخرى ميراثهم (١) . فهم اثاروا الحرب شرقاً وغرباً وارثوها تارينا بالحراب والسيوف حتى بلاد الروم وفرنجة والتوران اهل الخيم وأرمينية . ومن منهم في بلاد الترك ما خلا من كان منهم منتشراً بين الامم قليلاً ذليلاً مثل النسطورية . ومن بين ظهراني العرب من اليعقوبية والملكية . ثم رأينا ان المسيح عليه السلم قد رخص باخرة في اتخاذ السيوف ونسخ به الامر الاول وذلك في قوله لتلامذته ليبع كل امرؤ منكم ثوبهُ وليشتر لنفسه سيفاً . وفي قوله لا تظنوا اني جئت لازرع سلماً بل حرباً . فمن عاب اهل الاسلام بما قد استحسنهُ واستن به من ذكرنا من الانبياء فقد ظلم

فان انكر منكر قول النبي صلى الله عليهِ وسلم ان في الآخرة اكلاً وشرباً فقد ذكر المسيح عليهِ السلم لتلامذتهِ مثل ذلك حين شرب معهم وقال لهم اني لستُ شارباً من ابْنَةِ هذه الكرْمة حتى أشربَها

(١) ما متأكدون من قراءة بعض كلمات في هذه الجملة

معكم تارةً أُخرَى في ملكوت السموات . فأخبرَ ان في الملكوت شَراباً وشُرْباً وحَيْثُ يكون فيه الشرب لا يُستنكَرُ فيه الأكلُ واللذاتُ . وقال لوقا في انجيله عن المسيح عليه السلم انهُ قال ستأكلون وتَشربون على مائدةِ أبي . وقال يوحنا عن المسيح عليه السلم ان ما أكثرَ الغرَف والمَساكن عند أبي . فهذه كلُّها تصحح الاكْل والشرْبَ في الآخرةِ والغرَفَ والنعيمَ [١] . كما قال الله عز وجل في كتابه وَجَنات لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مقيمٌ[٢]

في الردِّ على من انكر مخالفةَ النبي صلى الله عليه وسلم موسى والمسيح عليهما السلم في تغيير سنن التوراة والانجيل

وانْ ذكَرَ ذاكرٌ منهم من المتعمقين في العلْم ان النبيَّ صلى الله عليه وسلم آمن بالتوراةِ والإنجيل قولاً وخالَفهما فعْلاً فكان في تَثْبيتهِ ايَّاهما مرَّة وتكذيبِه بما فيهما أُخرى دليلٌ على التناقضِ قلنا ان الله تباركَ وتعالى حكيمٌ عليمٌ رحمان رحيمٌ الخلْقُ له والمَرْشدُ منهُ والحوْلُ والقوَّة به وليس للعبادِ الاعتراضُ عليه فيما يأمُر به والدُّخولُ في سابقِ علْمِهِ وخفيِّ تدبيرِه بل الانقيادُ والسَّمْعُ . فقد قال الله عز وجل على لسان موسي عليه السلم ان اللهَ يقيم نبيًّا من بين إِخوتِكم مثلي فاسمَعوا له فان من لم يسمعْ له كنتُ أنا المنتقِم منهُ . فقد ظهَرَ النبيُّ عليه السلم من بين إِخوةِ اليهود واستنَّ بسُنَن الله وصدَّق بموسى وقال انهُ كَليمُ

(١) يوجد هنا بعض كلمات مبهومة القراءة (٢) نشك في قراءة هذه الالفاظ

الله . وبعيسى وقال انهُ روحُ الله وكلمتهُ اصطفاهُ اللهُ وشرَّفهُ ورفَعه الى السماء فهو عنده . ولم يخالِفْ موسى في التوحيد ولم يَحْمْحِمْ ولم يهمْهِمْ كما فعلَتِ النصارى بل باحَ به وصرَّح وأخلصَ الإيمانَ وجرَّدَ القولَ ووافقَه سائرُ الانبياء في القبلَة والطلاق والختان ومحاربةِ الكفرَة والذبِّ عن [البنين] والقِصاص وأكثرَ الذبائحَ للهِ تعالى وحدَه وجدَّد لامتِه سنناً وفرائض توافق امر الله (١) فعلى العباد السمعُ والطاعة لله فيه . ولو كان للناس مساغ الى المثالِب والاغتمز في مثل ذلك من أمور الله وتدبيره لكان للقائل ان يقولَ ممَّا عليه المسيح ايضاً انه صدَّق بالتوراة مرَّةً وقال لم أجئ لانقضَها بل لاتممَها . وقال ايضاً حقَّا أقول انهُ لا يَبْطلُ حَرفٌ منها حتى تَبطلُ السماءُ والارضُ . ثم خالف موسى صراحاً ونبذَ التوراةَ جانباً حتى وجدَ علماء أمتِه سبباً الى أنْ قالوا مُصْرحين جاهرين ان العَتيقةَ عبرَتْ وسلَفَتْ وجاءَت الحديثة وظهرَت . يَعنُون بالعتيقَة التوراةَ ونَواميسَها وسائرَ كتب الانبياء وبالحَديثة الإنجيلَ وكتبَ الحواريِّين . وانما عِماد التوراة وملاك اليهودية وسننها وختانها وذبائحُها وأعيادُها وقصاصها وأحكامُها وكهنتها ومَذابحُها فقد أهدر المسيح عليه السلم ذلك كلهُ وأزهقَه فلم يدعْ لهم عيداً الاّ أبطلَه ولا سبْتاً الاّ حلَّه ولا ختاناً الاّ دمثَ في رَفْضِه ولا ذبيحةً الاّ نهَى عنها ولا مَذبحاً الاّ عطّله ولا كاهناً الاّ فجره وفسّقهُ

(١) يوجد هنا بعض كلمات مبهومة القراءة (٢) كذا في الاصل

قال متّى في الفصل الثالث عشر انّ المسيح عليهِ السلم كان يَسيرُ بين الزُّروع في يوم سبتٍ فجاع تلامذتُه فجعلوا يَفركون السنبلَ ويأكلونهُ . فلم يُغيِّرْ ذلك ولم ينكِرْه . وقال متّى في هذا الفصل انّ المسيح قال مُومِئاً لمَن حضرَه مِن بني اسرائيل سمعتُم التوراةَ تقول ان مَن طلّق امرأتَه [فليقدّمْ] لها كتابَ الطلاق أمّا انا فأقول لكم انّ مَن طلّق امرأتَه الاّ لسبب الزّناء قد عرّضَها للزّناء وان مَن تزوّج مُطلّقةً فانّه قد فجَر . وللقائل ان يقولَ مُنْكراً لهذا القولِ فما يصنعُ بمَن سَحَرتْ او كَفرتْ او سمّتْ أهلَها او قتلَتْ ولَدها او جاءها أيُطلّقُها بتلك الخِصالِ . فكيف . ولم يمكنْ ذلك . وانما أوجبَ الطلاقَ على الزّناء فقط

وقال في هذا الفصل قد سَمعتُم ما قيل في التنزيل ان السِّنّ بالسِّنّ والعَينَ بالعينِ . فأمّا أنا فاني أقول لكم ان مَن ضربَك على خدِّك فوَلِّه الخدّ الآخَرَ ومَن سألَك شيئاً فلا تمنعْه . وقال فولُس وهو المقدَّمُ المُطاعُ عندهم ان ليس الختانُ بشيءٍ ولا الغُرْلةُ بشيءٍ . فأبْطلَ بذلك الختانَ صراحاً . فهذه وغيرها من المسيح صلى الله عليهِ وسلم غير مُنكَرٍ ولا مَردودٍ . وكذلك ما جدّد النبيُّ صلى الله عليهِ وسلم من السُّنَنِ او زاد او نقّص من سُنَنِ التوراةِ والإنجيل غيرُ مُستنكَرٍ ولا مَذموم

في الردّ على من زعمَ ان القيامة لم يَذكرْها احدٌ غير المسيح عليهِ السلم

وقد قالتِ النصارى انهُ لم يُعرِّفْ القيامةَ ولم يُبشّرْ بالبعثةِ

والنشور غيرُ المسيح وقد لَعمري بَشَّر بها وصرَّح بالقول فيها وشرَّفهُ اللهُ تشريفاً يفوقُ السَّبقةَ . غير ان الأنبياءَ قبلَه قد كانوا يَعرِفونها ويَذْكرونها . قال موسى النبي عن الله تعالى أنا وحدي وليس سواي الهٌ أنا أُميت وأنا أُحيي . وهذا داوودُ النبي يقول في الزَّبور انّ الجبابرةَ يُبْعثون ويُنشَرون ويُمجِّدون لك يا ربُّ ويُخبِرون انّ في القُبورِ نعمتَك . وقال الله تباركَ وتعالى على لِسانِه اني ناشرُهم وباعثُهم من بين أسنانِ السباعِ ومن لُجَجِ البحرِ . وقد قال دانيال النبي عليهِ السلم انهُ سيُبْعثُ من الأَجْداث قومٌ كثيرٌ بعضهم الى الحياة الدائمة وبعضهم الى البَوار لتوبيخ نُظراءهم الى الأَبد . وقالت حنّا النبيةُ عليها السلم في كتاب إِشْمُوئيل النبي عليه السلم ان الربَّ يُميتُ ويُحيي ويُنزِل الى القبرِ ويُنشِر منهُ . قال الله عز وجل لدانيال عليه السلم اذهَبْ واضطجعْ للامْرِ المحتوم فانك ستَقُوم في الوقت الموقتِ لكَ في آخرِ الدَّهر

وقد علِمتم يَهْديكم اللهُ ان إِجماعَنا وإِجماعَكم على أن اللهَ عَدْلٌ يُحِبُّ العدْلَ وأهلَه ويأمر به ونهى عن الحَيْفِ والجور . ومن العدْل والنصفةِ أن تَرْجعوا الى الاسباب التي بها قَبلتُم [دينكم] وتَنْظروا ما هي . فإِذا صحّ عندكم انها ليستْ الا أخباراً مُمكنةً غير مُمتنعةٍ ومحمودةً غير مذمومةٍ أدّاها اليكم خلَف عن سَلَفٍ وآخرِ عن أوّلٍ فبمثْلِ تلك الاخبار قَبلنا النبيَّ عليه السلم . على ان من أدّى تلك الاخبارَ اليكم لم يكنْ فيهم احد ادّعى انهُ أَخذَها عن من شاهَدَ

المسيحِ او موسى عليهما السلم من آباءه وأجدادِه كما تدَّعي العرَبُ عن آباءها وأجدادِها الذين شاهدوا النبيَّ عليه السلم . فان الرجُلَ منهم يُحدِّثهُ عن جدِّه او جدِّ جدّه او بعضِ أهلِه بما رأى وأدَّاه الى أعقابه فأمَّا أخبارُكم فانها أدَّاها اليكم عِراقيٌّ عن جزَريّ عن شاميّ وشاميٌّ عن عِبْرانيّ وفارسيٌّ عن روميّ ومَشْرِقيٌّ عن مَغْرِبيّ بأسبابٍ مظلمةٍ متفاوتةٍ . فبماذا تحتجُّون او تَعيبون على من قال انما قبلتُ هذا الدينَ وآمنتُ به بمثْل الدلائل والشواهِد التي قبلتم بها دينَكم . أو قال اني لما رأيتُ امةً من الامم عظيمةَ الشانِ جليلةَ الخَطْبِ في كثرتها وعزّها وطهارتها وفِطَنها وعفتها يخبرونا عن آباءهم وأجدادِهم بما ذكَرْنا ويأتون بكتابٍ يتوارثونهُ قرْناً فقرْناً يدعو الى توحيد اللهِ وتكبيرِه والايمانِ برُسلِه وأنبياءه والتكذيبِ بالشركاء والاندادِ ويأمر بمحاسن الامورِ ومَعالِيها وبما يُوافق سُنَنَ الانبياء ومَواريثَ عُهودِها ويَنهي عن الشرّ وأهلِه وأصلِه ويخْبرنا بأحداث قد صحَّتْ في زمانٍ بعْدَ زمانٍ وحِقْبة بعد حِقْبة . ثم وجدتُ (١) كتبَ من تؤمنون به من الانبياء تَشْهَد له وتتنبأ على دَولتِه ودينِه بما قد بيناه فدخلْتُ فيه وأملتُ ما عندَ اللهِ به .

فانْ زعَمْتم ان من كان هذا نعتهُ ونبوتهُ وفضلُه ودلائِله لا يجبُ قبوله بطلَ جميعُ ما تدّعون وصِرْتم الى الكفرِ بكلّ ما به تؤمنون .

---

(١) في الاصل وجدنا

فإنْ اعتللْتم بالثنويةِ والوثنية ونظراءهم وما ينقلون عن أئمتهم ويخبرون عن دعاتهم وغواتهم وما يوجدُ في زُبُرهم وأسفارهم من تحقيق أخبارهم فقد تقدّم من قولنا في ذلك في صدْر الكتاب ما لا يتصامُّ عنهُ الا من كان همُّه المحاجزة والشغبُ ودينهُ المعاندة والإصرارُ . لان اولائِك قد ناقضوا ودَعَوا الى النجاسات والضلالات فضلوا وأشرَكوا بالله فهلكوا . ولا يقاس أمثالهم بمن كان إمامه الحقّ ومنهجُه الرشْدَ وشعارُه التألهَ والزهْدَ ودعوتهُ الى اله واحد فرْد اله ابرهيمَ وسائر الانبياء عليهم السلم ومن تنبأ الانبياء عليهِ بما قد وضَحَ

فذَرُوا التظنّيَ والاعتلالَ يا بني عمّي تَلاقاكم اللهُ واسلكوا أسلَمَ الطُّرق وأهداها وجانبوا أضلها وأرداها . فانكم اذا تدبّرتم ذلك صحّ لكم ان الاسبابَ والعللَ التي بها قبلْنا نحن نبوةَ النبيّ عليهِ السلم هي أسبابُكم وعللكم التي بها قبلْتم المسيحَ وموسى عليهما السلم . فانْ كنا نحن في ذلك مخطئين ولعقوبة الله متعرّضين فكذلك انتم ايضاً . فناظروا أنفسَكم وحاكونا الى عقولكم وأذهانكم واحتجُّوا لنا ولكم وعلينا وعلى أنفسكم لينكشفَ عنكم الغطاء . وترون عينَ اليقين بتوفيق الله

وان عاب النبيّ عليهِ السلم عائب فقال انهُ عليهِ السلم نسَبَ الشرَّ الى الله فقد قال في عدْل الله ورحمتهِ وطَوْله ما قد ذكرْتهُ في صدْر هذا الكتاب . وقال الله تباركَ وتعالى لموسى عليهِ السلم اني جاعل قلْبَ

فرعونَ قاسياً لئلا يخرجكم من أرض مصر . وقال اشعيا النبي عليه السلم ان اللهَ خلقَ السلامةَ وبرأ الخيرَ والشرَّ جميعاً . وقال فولس المقدَّمُ عندهم المطاعُ في رسالته الى طيماتاوس ان البيتَ العظيمَ ليس يكون فيه أواني الفضة والذهب فقط بل يكون فيه أواني الخشَب والفخار ايضاً منها للكرامة ومنها للهوان . يعني الدنيا ومن فيها من سعيد وشقيّ

وأنا أسألكم يرشدُكم اللهُ في خاتمة كتابي هذا عن مسألة جامعة قاطعة مقنعة . ما تقولون في وارد لو وردَ هذا الإقليمَ من أُفق الهند والصين يرتادُ رُشداً ويسألُ عن الاديان التي فيه ويَستخبر عن سلْك أهله . فقيل له ان منهم أهلَ ملة يُسمّون المجوسَ يَعبدون الكواكبَ والنيرانَ ويزعمون ان اللهَ خالقُ الخيرات والنور والشيطانَ خالقُ الظلمات والشرّ وان الحَربَ غير راكدة بينهما لا يَستريحان ولا يَسكنان على انهما لا يَبلغان ما يُريدان فهما عاجزان مبهوتان . وان محبةَ الله ورضاه في نكاح الامّهات والبنات والتطهُّر بأبوال البقر المنْتنة والإعتكاف على المجُون والزفن . وان أرواحَ موْتاهم ترْجع اليهم في كلّ سنة مرّةً فهي ترْزأُ ممّا يوضع لها من مَطعم ومَشرَب وتتزوّد منهُ عند انصرافها وَهنات من نحْو ما ذكرْنا في صدْر الكتاب مجهولة وسيَر مستقذرَة ونقمات من اللهِ ظاهرة ونبوات قد نطقتْ بها كتبُ الانبياء فيهم قديمة قد بينتها آنفاً ،

وان منهم قوماً يقال لهم الزنادقة دينهم يُضاهي دينَ هاولاء ويتقدَّمهُ ضلالةً وجهالةً وقذراً ونجاسةً وخساراً

ومنهم أهل ملَّة يُسمَّون النصارى . منهم طائفةٌ تزْعم ان اللهَ لما رأى الشيطانَ قد علا شانهُ واستفحلَ أمرُه وعجزَ الانبياء عن مناواته وَجدَ ابناً له أزليًّا قديماً منفرداً بخلْق الخلائق كلها فدخلَ في بطن امرأة ثم وُلدَ منها ونشأ وناهضَ الشيطانَ . فأخذَه الشيطانُ وقتَله ثم صلبَهُ على يدَي شِرْذمة من أحزابهِ . وقالت طائفةٌ منهم بل المقتول هيكلُ هذا الابْن ومَسْكنهُ لانهُ صار مع ذلك الإنسان شيئاً واحداً . فأكلَ ذلك القديمُ بأكْل ذلك الحديثِ وتغوّط بتردُّدِه وتغويطهِ وقتل بقتلهِ

ومنهم أهلُ ملَّة يُسمَّون اليهودَ . في أيديهم كتبٌ قوم يُسمُّونهم أنبياء ويَحْكون عنهم انهم قد لعَنوهم . ويذْكرون ان اللهَ قد تبرَّأ منهم ومقتَ دينَهم وشرَّدَ بهم في الآفاق وأطفأ نورَهم وأقْسم انهُ لا يَعْطفُ أبداً عليهم

ومنهم أهلُ هذه الملةِ الطاهرة العاليةِ الذين يقال لهم المسلمون . يقولون ان اللهَ فرْد دائم لا شريك له ولا غالب بل له الجبروتُ والملكُ الدائمُ لا ولَدَ له ولا والدَ وهو الرحمنُ الرحيمُ الاوّل والآخر . وان نبيَّهم فرَضَ عليهم عن اللهِ برَّ الوالدَين والصّومَ والصلاةَ والنقاءَ والطهارةَ وحللَ لهم الطيّباتِ وحرَّم الخبيثاتِ ووعدَ الجنةَ وحذرَ

النارَ . فأيُّ هذه المَلل والاديان كان يُحبُّ ان يؤمنَ به ذلك الهنديُّ والصينيُّ والى أيّها كان يركن وأيها يَستحسن اذا كان وافرَ الرأي سليمَ الطبع مريداً للحقّ المَحض لا غيره. أو ما حجة اللهِ على عبد من عبادِه لو قال له وهو العدلُ الرحمنُ الذي لا يَظلم مثقالَ ذرّة أحداً آلهي اني سمعتُ منادياً ينادي الى توحيدِك ويُكبرك ويحمّدك ويمجّدك فاجبْتُ . ورأيتهُ يامرنا بالايمان بانبياءك وأصفياءك ويفرض الصلاةَ والصومَ والزكاةَ فاطعتُ . ورأيتهُ قد قطعَ إرْباً من آرابي وآرابِ كرائمي وأحبّاءي فقطعتُ تاميلاً لِما عندك وتذللاً لامرك . ورأيتهُ يحثُّ على الحجّ من البلَد الشاسع البعيد فحججْتُ وأتيتُ ثمّ وما وَنيتُ . ورأيتهُ يحضُّ على جهاد أعداءك الكافرين بك ودُعاءهم اليك فدعوتُ وجاهدتُ وابتغيتُ بذلك كله وجهَك فما نهنهْتُ ولا مللْت ورأيتُ أدياناً ومِللاً مُستنكرةً مجهولةً على ما شَرحتُ آنفاً فاطرَحتُ ذلك كله جانباً وتبرّأتُ منه وتعلقتُ بما ظننْتُ انه العروَة الوثقى والمنْهج الأقوم الذي يرضيكَ . فانْ كنتُ الهي قد جهلتُ فيما اخترْتُ وتياسَرْتُ عمّا نوَيْتُ فانك أحقُّ من رحِمَ عبدَه الذي استفرَغ في طَلَب ما عندك جهدَه فأخطا السبيلَ اليك

فهذا يا بني عمّي قول مقبول وعذْر غير مردود عند العباد المنقوصين المتعَنتين . وكيف عند أرحم الرّاحمين أعدل الحاكمين الذي لا يُكلف نفساً الا وُسْعَها . فتبينوا يهْديكم اللهُ هذه [الحججَ] والامثالَ وباينوا

الاهواءِ المرديةَ وأزيغوا عن أبصار غشاوتَها وعن قلوب أكنتها وأقفالها . واقتصروا [من بين] الابوابِ التي كتبْتُ على باب النبوة فقط . او على أخبار هاولاء الابرار من دُعاةِ النبي عليه السلم . او على باب الغلَبَة الظاهرةِ التي كانت باسم الهِ ابرهيم . او على هذا الكتاب الناطق وما له من الفضائل التي قد بينتها من فوق. او على تلك النبوّات نبوّةً نبوّةً وخبَراً خبَراً وما شرحتُ من معانيها وتاويلاتها . واقبلوا مني فقد نخلْتُ لكم نصحي واعلموا اني لم أردْ بما كتبتُ تفاخراً ولا تكاثراً بل ما عند اللهِ الذي لا يخيب راجيه وما فيهِ من موافقةِ خليفته وعبده جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أيّده اللهُ

وأمّلتُ بذلك من خيار المسلمين وكرامهم وعقلاء أهل الذمّة وأماثلهم الشكْرَ والمحبةَ اذ كنتُ قد بينتُ لعوامّهم ما استبنْتُ وكشفتُ لهم ما استبطنْتُ وأفهمتُهم ما فهمتُ ونويتُ مشاركتَهم في النور الذي أُوتيتُ والفوز الذي املتُ . نخيرُ ذلك وربحُه لي ولهم انْ كنتُ أصبتُ ومكروهه عليَّ دونهم انْ كنتُ أخطأْتُ فيما قلتُ . أسال العصْمةَ ودوامَ التغْميديةِ وأعوذُ من أسباب الغفْلةِ وأرغبُ اليه في إقالة العثرةِ ولباسِ الستْرِ والسلامة والعاقبةِ لي بما أملتُ منه عاجلاً وآجلاً فيما الفتُ وقلتُ

وقد تمَّ في كتابي هذا الذي سمّيتُه كتاب الدّين والدولةِ فسادُ اليهودية وبطلانُها ومخازي الثنَويةِ والدهْريةِ وضلالها ليتبيَّنَ الناظرُ

انكسارَها وانكسافَها وان النورَ الساطعَ والإيمان الهادي هو الإسلامُ وحْدَه. ولله الشكرُ على ما هداني ثم لعبْدِه وخليفتِه جَعفر المتوكلِ على الله اميرِ المؤمنين أطال الله بقاءَه على ما ندَبَني له واجتَرَّني وغيري من أهلِ الذمةِ اليه ترغيباً منه وترهيباً. واحتساباً وحبًّا منه للناسِ كافةً. ولذلك صيَّرت البابَ الأوَّلَ من كتابي هذا في وصفِ ما شعَرَتْ امَّتي من مَكارمه وآثارِ نعمته ورفقِ سياسته ويمن دولته وكثرة فتوحه وما يَجبُ على أهل الملة والذمة من حبِّه وطاعته وشكْرِه. والسلام على من اتبعَ الهدَى وألفَ التقوَى وأحبَّ السلامةَ والفلاح وحزَّبَ لهما وحضَّ عليهما

تمَّ الكتاب ولله الحمد والمنة وذلك في بكرة يوم الجمعة الرابع من المحرم سنة ست عشرة وست مائة احسن الله مقدمها. علقه لنفسه العبد الفقير الى رحمة الله تعالى وعفوه عبد الحميد بن الحسين بن بشيق حامداً الله تعالى على نعمه ومصلياً على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه ومسلماً تسليماً كثيراً دائماً ابداً

قلت وهذا الكتاب آخر ما علق جمال الدين بعون الله لنفسه لانه مات بعد تعليقه بقليل